إطـلالـة علـــى
أصول تتعلق بفقه الداعي والدعوة

إعــداد
أ.د/ عبد الرافع عبد الحليم السيد الفقي
الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
جامعــة الأزهـــر

ملخص البحث:
يتناول هذا البحث الأصول المتعلقة بفقه الداعي إلى الله ، والتي منها أهمية إيجابية الداعي، وتفاعله مع المجتمع، الرفق واللين، ونبذ العنف والتقريع، التيسير والتبشير، فهم الشريعة فهماً صحيحاً، الجمع بين الأصالة والمعاصرة، أهمية فقه الواقع وترتيب الأولويات.
كما يقدم البحث إطلالة على الأصول المتعلقة بفقه الدعوة إلى الله والتي منها أهمية وضوح الدعوة، وتكوين الرأي العام، التدرج في الدعوة والإصلاح، تنويع مناهج وأساليب الدعوة، والعناية بالحوار، الإلمام بالسنن الاجتماعية، والإفادة منها في الدعوة والتربية، الوسطية وترك النزاع في الفروع، العناية بإقامة فروض الكفاية في الأمة، التركيز على بيان مقاصد الشريعة، وإبراز محاسن الإسلام، حسن عرض حقائق الإسلام محاسنه، فقه مراتب الأحكام، وأدب الاختلاف.
الكلمات الدلالية:
(إطلالة- فقه الواقع- إيجابية الداعي- التقريع- الرفق واللين- فقه الداعي)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــة

الحمد لله،والصلاة والسلام على رسول الله،وعلى آله وصحبه ومن والاه ... وبعـد؛؛

فإن الدعوة إلى الله وإلى دينه وشرعه فريضة ملحة في كل وقت وحين، لأنها تنير الطريق، وتهدي النفوس، وتصلح الأخلاق، وتقوم العوج، وتنهض الهمم، أمتنا في حاجة ماسة إلى دعاة يقودونها إلى كل خير، دعاة حكماء، يقدرون الأمور حق قدرها، ويعطون كل شيء حقه، فيخاطبون العقول بالأدلة العلمية المقنعة، وبالبراهين العقلية الساطعة، التي ترد على الشبهات بالحجج والبينات، وترد المتشابهات إلى المحكمات، والظنيات إلى القطعيات، والجزئيات إلى الكليات، والفروع إلى الأصول، دعاة يحسنون ترتيب أمور دعوتهم، بحيث يأتي كل شيء في موضعه وأوانه .

ومن هنا أرى أن سبيل النهضة الناجحة لا يتمهد إلا إذا استعطنا . على عجل . بناء جماعات من الدعاة المدربين البواسل، ينطلقون في أقطار العالم الإسلامي، ليرأبوا صدعه ويجمعوا شمله، ويتعهدوا مسيره، ويقوموا عوجه، ويذودوا عنه كيد الخصوم، ومكر العداء، وعبث الجهال وسفه المفتونين .

الإسلام أحوج الأديان الآن إلى من يتعلمه على حقيقته النازلة من رب العالمين، ثم يكرس حياته، لإنعاش المسلمين به بعدما سقطوا في غيبوبة طويلة، علتها الأولى والأخيرة هي الجهل الطامس البليد، الإسلام أحوج الأديان الآن إلى الدعاة الذين يغسلون عنه ما التصق به من خرافات، ويقصون من طريقه الحواجز التي شيعت أهله، وقسمتهم طوائف ومذاهب، الإسلام فقير إلى رجولات متجردة، تهب حياتها لله، وتجعل مماتها فيه، سيكون هؤلاء الدعاة هم طلائع النور في أمة طال عليها الليل، وبوادر اليقظة في أمة تأخر بها النوم، وأمل العالم في عصر أجدبت فيه الدنيا، من رسل الرحمة، واليقين، وامتلأت بزبانية الأثرة والإلحاد .

من أجل هذا الهدف العظيم، رغبت في الكتابة، وتقديم هذا البحث .

وقد احتوى البحث على مقدمة، وفصلين وخاتمة .

أما الفصل الأول، فقد جعلت عنوانه" إطلالة على أصول تتعلق بفقه الداعي إلى الله .

واحتوى الباب على ستة مباحث:

المبحث الأول: أهمية إيجابية الداعي، وتفاعله مع المجتمع .

المبحث الثاني: الرفق واللين، ونبذ العنف والتقريع .

المبحث الثالث: التيسير والتبشير .

المبحث الرابع: فهم الشريعة فهماً صحيحاً .

المبحث الخامس: الجمع بين الأصالة والمعاصرة .

المبحث السادس: أهمية فقه الواقع وترتيب الأولويات .

وبشأن الفصل الثاني: فقد اخترت عنوانه: إطلالة على أصول تتعلق بفقه الدعوة إلى الله.

وقد تناول هذا الباب تسعة مباحث:

المبحث الأول: أهمية وضوح الدعوة، وتكوين الرأي العام .

المبحث الثاني: التدرج في الدعوة والإصلاح .

المبحث الثالث: تنويع مناهج وأساليب الدعوة، والعناية بالحوار .

المبحث الرابع: الإلمام بالسنن الاجتماعية، والإفادة منها في الدعوة والتربية .

المبحث الخامس: الوسطية وترك النزاع في الفروع .

المبحث السادس: العناية بإقامة فروض الكفاية في الأمة .

المبحث السابع: التركيز على بيان مقاصد الشريعة، وإبراز محاسن الإسلام .

المبحث الثامن: حسن عرض حقائق الإسلام محاسنه .

المبحث التاسع: فقه مراتب الأحكام، وأدب الاختلاف .

ثم كانت الخاتمة، وقائمة المراجع، والفهرس العام للبحث، التي رجعت إليها .

وأرجو من ربي الكريم أن يقبل مني هذا العمل، وأن ينفع به، وأن يدخلنا برحمته في عباده الصالحين، اللهم آمين .

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ؛؛

❁ ❁ ❁

الفصل الأول
إطلالة على أصول تتعلق بفقه الداعي إلى الله

المبحث الأول: أهمية إيجابية الداعي، وتفاعله مع المجتمع.

المبحث الثاني: الرفق واللين، ونبذ العنف والتقريع.

المبحث الثالث: التيسير والتبشير.

المبحث الرابع: فهم الشريعة فهماً صحيحاً.

المبحث الخامس: الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

المبحث السادس: أهمية فقه الواقع وترتيب الأولويات.

المبحث الأول: أهمية إيجابية الداعي، وتفاعله مع المجتمع

إن على الداعية أن يتذكر دعوته في كل لحظة، فيذكرها في نومه ويقظته، وعلى طعامه، وبين أهله، وفي حله وسفره، وفي كل مجالسه.

إذا قصد إنسانا فللدعوة، إذا سالم أو عادى فلها، إذا فرح أو حزن فمن أجلها، وبالجملة تكون هي المسألة الأولى الحاضرة لديه في كل وقت، من أوقات حياته، هي صلب الحياة ولبها وصميمها، وأمور عيشه على هامشها وطرفها..... ، وفي ذلك يقول الأستاذ البهي الخولي: «إن الداعية يجب أن يشعر بأن دعوته حية في أعصابه، متوهجة في ضميره، تصيح في دمائه، فتعجله عن الراحة والدعة، إلى الحركة والعمل، وتشغله بها عن نفسه وولده، وماله....، تحس إيمانه بدعوته في النظرة والحركة والإثارة، وفي السمة التي تختلط بماء وجهه، وهو الداعية الذي ينفذ كلامه إلى قلوب الجماهير، فيحرك عواطفهم إلى ما يريد من أمر دعوته»[١].

فالداعية المؤمن بفكرته، يدعو إليها بالكتابة والخطابة، والحديث العادي، والعمل الجدي في سيرته الخاصة والعامة، وبكل ما يستطيع من وسائل الدعاية، فهو كاتب وخطيب، ومحدث وقدوة، يؤثر في الناس بعمله وسمعته.

والداعية أيضاً طبيب اجتماعي، يعالج أمراض النفوس، ويصلح أوضاع المجتمع الفاسدة، فهو ناقد بصير، يقف حياته على الإصلاح إلى ما شاء الله...

وهو رفيق وصديق، وأخ للغني والفقير، والكبير والصغير، ومن هذه الصفات تشيع المحبة في قلبه، وتتدفق الرحمة من عينيه، وتجري المواساة على لسانه ويديه [٢].

إن الإسلام يملأ المسلم بالروح الإيجابية البناءة، التي يجب أن تسيطر على عقله وشعوره، وتوجه تفكيره وسلوكه، وتتمثل في الاهتمام بالعمل لا بالكلام، وبالبناء لا الهدم، وبإضاءة الشموع، لا بلعن الظلام [٣].

ومن مفردات الإيجابية الجاهزية للعطاء، وتعدية النفع للآخرين، وهذا يعتبر مصدراً ثرياً للراحة والاطمئنان النفسي، والسعادة الذاتية.

فالموفق من الدعاة من يستطيع تجاوز عقبة: نفسي نفسي، وتصير هموم الآخرين هي همه الأكبر، فأياديهم دائما مبسوطة بالخير، والنفع، وإذا لم يسمح الظرف بذلك فأبدانهم ممتهنة في

---

(١) أ/ البهي الخولي، "تذكرة الدعاة"، ط ٧، ١٩٩٨م، مكتبة الفلاح – الكويت، ص ٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٦.

(٣) د/ يوسف القرضاوي، "السنة مصدرا للمعرفة والحضارة"، ط دار الشروق، ط١، ١٩٩٧م، ص ٢٤٧، ٢٤٨.

خدمة الناس، ووجوههم تتلألأ . دائماً . بالبشر والتبسم والبشاشة، فإن ذلك من القربات والصدقات[1]، وقد قال في ذلك رسول الله ﷺ: "تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة"[2].

إن من الواجب على الدعاة العمل على معايشة الناس والجماهير، من المواطنين والحرفيين، والفلاحين، والعمال، وغيرهم من الجاهدين والمجاهدين في المدن والحارات والأزقة والقرى...، وسيجدون هناك الفطرة السليمة والقلوب الطيبة، والهمم العالية.

وعلى الدعاة السعي . قدر إمكانهم . والإسهام مع غيرهم من المصلحين في إصلاح المجتمع وترقيته وتقدمه، في المجالات التي تحتاج إلى عنايتهم، وما أكثرها، مثل: تعليم الأميين، ومساعدة المتبطلين، والأخذ بيد المنحرفين.... إلخ.

ومثل: إنشاء لجان للإصلاح بين المتخاصمين، ولمعالجة العادات الضارة، من تدخين ومسكرات.... إلخ، ونشر العادات الصالحة الغائبة، في مجال الصحة، والتربية، والتغذية... إلخ.

إن من الضروري مشاركة الدعاة الناس متاعبهم وهمومهم، وتقديم العون لهم، إما من خلال إنفاقهم وبذلهم، فإن ذلك عبادة رفيعة القدر، لم يحسنها كثير من المسلمين اليوم، أو الشفاعة لدى المحسنين، أو رفع حاجات الناس لأولي الأمر، ومتابعتها لتقضى، وعدم اعتبار ذلك وقتا ضائعا، أو على حساب الدعوة إلى الله، إن الداعية الإيجابي هو الذي إذا رأى عوجاً قومه، أو إفساداً قاومه، أو عيباً أصلحه، إن نصيحة صادقة قد ترشد ضالاً، وكلمة هادية قد تمنع جريمة، ومعروفاً صغيراً قد يزيل حقداً، ويزرع حباً، .. إلخ .

ولذا وجب على الدعاة إفهام المسلمين أن الإسلام قد وسع مجال العبادة ودائرتها، بحيث شملت أعمالا كثيرة، لم يكن يخطر ببال الناس أن يجعلها الدين عبادة وقربة إلى الله، فكل عمل يمسح به الإنسان دمعة محزون، أو يخفف به كربة مكروب، أو يضمد به جراح منكوب، أو يسد به رمق محروم، أو يشد به أزر مظلوم، أو يقال به عثرة مغلوب....، أو يهدي حائرا أو يؤوي غريبا....، أو يسوق نفعا إلى ذي كبد رطبة....، فهو عبادة وقربة إلى الله، إذا صحت فيه النية [3].

---

(١) د/ عبد الكريم بكار،"مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي"، ص ٢٥٧.

(٢)متفق عليه؛ صحيح البخاري، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ مَنْ أَخَذَ بِالرِّكَابِ وَنَحْوِهِ، (٤ / ٥٦)، رقم٢٩٨٩، صحيح مسلم، كِتَابُ الْكُسُوفِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ (٢ / ٦٩٩)، رقم ١٠٠٩.

(٣) د/يوسف القرضاوي، "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف"، ص ٢١٨-٢١٩، وأحاديث كثيرة تبين سعة العبادة وشمولتها لهذه الأعمال ص ٢٢٠. ، وانظر: جاسم بن مهلهل الياسين، "خطوات على طريق السعادة"، دراسة بمجلة الرسالة، (مصرية)، عدد (١٠)، فبراير ومارس ٢٠٠٤م، ص ٩٧ . ١٠٠ .

وهناك أحاديث عديدة وردت تجعل تبسم المسلم في وجه أخيه صدقة، وإسماع الأصم، وهداية الأعمى، وإرشاد الحيران، ودلالة المستدل على حاجته، والسعي بشدة الساقين مع اللهفان المستغيث، والحمل بشدة مع الضعيف، وما يدور في هذا الفلك من الأعمال، عده رسول الله عبادة كريمة وصدقة طيبة .

وبهذا يحقق الدعاة، ويوجدون مجتمعا يفيض بالخير والرحمة، ويتدفق بالنفع والبركة، يفعل الخير ويدعو إليه، ويبذل المعروف ويدل عليه. إن العمل الاجتماعي هو لون من الدعوة، دعوة للناس في مواقعهم، دعوة مقترنة بالعمل، وليس تعطيلا للداعي عن الدعوة كما يظن بعض المخدوعين، ومن شغل نفسه بفعل الخير في المجتمع لم يشغل نفسه إلا بما أوجب الله عليه، وهو مأجور عند الله، محمود عند الناس [١].

وكان رسول الله . ﷺ . المثل الأعلى في الاعتناء بأحوال أصحابه ومجتمعه، وكان القدوة الحسنة في الرحمة بالضعيف والعون على نوائب الزمان وشدائده، تقول السيدة خديجة . رضي الله عنها . في وصفه: إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق[٢].

والسيرة النبوية مليئة بأخبار من تأثروا بخلق النبي . ﷺ . الجميل وحسن سجاياه، فأسلموا، وحسن إسلامهم[٣].

ولقد ذكر ابن حبان في "روضة العقلاء"، أن إبراهيم بن أدهم كان كريم النفس، يخالط الناس، بأخلاقهم ويأكل معهم، فربما اتخذ لهم الشواء، والجواذبات والخبيص [٤]، وربما خلا وأصحابه الذين يأنس بهم، فيتصارعون (مزاحا وتحببا)، وكان يعمل عمل رجلين.

فابن أدهم – رضي الله عنه – نبيل مجاهد، عالم، كان أبناء جيله يقدمونه ويقتدون به، فهو مدرسة في تعليم أخلاق القيادة.

والحمد لله، في حياتنا المعاصرة أنواع من النشاط جديدة، جيدة، تتيح للداعية الموفق النزول إلى الناس، ومشاركتهم همومهم، وتفكيرهم، ومطالبهم وأعرافهم الجميلة، من محاضرات ومهرجانات ودورات علمية، وندوات ومؤتمرات، ومشاركات انترنت، وظهور في قنوات فضائية، وتحقيقات صحفية، ونشر أشرطة سمعية ومرئية، وأمثال ذلك.

---

(١) "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف" ص ٢٢٠-٢٢٤ .

(٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، بَابُ بَدْءِ الوَحْيِ، (١ / ٧)، حديث رقم (٣).

(٣) محمد عبد الله درويش، "تأملات في العمل الإسلامي"، ص ١٠٢.

(٤) أكلات شهية، وحلوى .

وهكذا تكون معايشته للناس، ترشيدا لهم، وسبب اتئاد عند الغضبات، ومصدر عقلانية عند الثورات والمظاهرات، يعلمهم، ويفتح لهم وبهم أبواب الخير والإصلاح [١].

على الداعية أن يحمل للناس عاطفة صادقة، تدفعه إلى حب الخير للناس كلهم، والحرص على دعوتهم وبيان الهدى لهم، والحزن على ضلالهم وإعراضهم، فهذا دليل على الصدق في الدعوة، وعلامة بينة على التأسي بالنبي . ﷺ .، الذي كان يحزنه ويؤلمه ما عليه أهل قريش من الكفر والضلال، ويكاد أن يهلك نفسه، ألما على أوضاعهم الشركية، وقد قال ربنا لنبيه . ﷺ . في ذلك: ژثثثٹٹٹٹفٹفٹفٹقٹژ [الكهف: ٦].

وهذا الحرص ينبغي عدم تجاوزه حد الاعتدال، إذ حين يتجاوز الاعتدال يولد آثارا سلبية ضارة، منها ما يلي:

١- شعور الداعية بأنه مسئول عن هداية الناس وإصلاحهم، بينما واجبه البلاغ، والبيان الواضح، أما تحقيق الهداية، فهي مختصة بالله عز وجل، يملكها ويهبها.

٢- أن انشغال الداعية – أحياناً – بشخص يطمع في هدايته، أو شخص انحرف بعد صلاحه، . هذا الانشغال يكون . غالباً . على حساب الآخرين الذين تثمر فيهم الدعوة والإصلاح، والمقبلون على الله . ﷻ . الراغبون في الاستقامة أولى من هؤلاء المعرضين أو المترددين.

وعلينا بذل الجهد في دعوة الناس وتربيتهم وإصلاحهم، لكن النتيجة والثمرة بيد الله وحده[٢].

إن مسلم اليوم بحاجة إلى الشعور بقدرته على التغيير، تغيير نفسه، وتغيير محيطه ورؤيته للأشياء.

وقد علمنا الله . ﷻ . أن شرط تغيير العالم هو أن نغير ما بداخلنا، فقال: ژھھےےۓۓڭڭڭڭۇژ [الرعد: ١١][٣].

ويجب على الدعاة وهم يحملون راية الإصلاح في مجتمعاتهم، أن يكون من أولى أولياتهم الانتصار للمستضعفين، ورفع الظلم عنهم، وإقامة العدل بين الناس، والسعي إلى رد الحقوق لأصحابها، مع حركتهم في الدعوة إلى التوحيد الخالص وإلى أصول الإسلام وأركانه.

---

(١) الأستاذ/ محمد أحمد الراشد، "عبير الوعي"، مرجع سابق، ص ٦٥، ٦٦.

(٢) "تأملات في العمل الإسلامي"، مرجع سابق، ص ٩٣، ٩٤، ٩٥ .

(٣) د/ عبد الكريم بكار، "مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي"، ص ٢٥٤، مرجع سابق.

فالإسلام دعوة جادة لمواجهة الظلم بكل صوره، وأشكاله، والأمة التي لا تؤسس أركانها على إقامة العدل لا خير فيها [١]، فعن أبي سعيد . ﷺ . قال: قال رسول الله . ﷺ .: "لا قدست أمة، لا يأخذ الضعيف فيها حقه، غير متعتع"[٢].

فكلما كان الدعاة أقرب إلى المجتمع، وتبني قضاياه وهمومه، والذب عن مصالحه، وحقوقه: كانوا أقدر على تحقيق الإصلاح ونشر معالم العدل [٣]، وليقتدوا بالإمام الفضيل بن عياض، في سعيه لإقامة العدل في الأمة، وإحساسه بالمسؤولية العظمى في ذلك، حين يقول: « إني لأستحي من الله أن أشبع، حتى أرى العدل قد بسط، وأرى الحق قد قام »[٤].

إن المبادرة الفردية، هي سفينة النجاة، وتربيتها لدى الناس جزء من منهجية الدعاة في بناء الإيجابية.

وقد التجربة أثبتت أن كثيرا من الناس يحبون الخير، ويقدرون فاعليه، وهم على استعداد للمشاركة في مشاريعه، لكن المشكلة الكبرى هي أن المستعدين فيهم لخطو الخطوة الأولى، ووضع أول لبنة قلة قليلة، فالأكثر شعاره: ليبدأ غيري، و دعنا ننتظر النتائج!.

وهذه القلة هي ملح المجتمع وبركته، لأنها تحب الخير، وتثق في نفسها، وتسعى إلى خدمة مجتمعاتها، ومستعدون لتحمل نتائج مبادراتهم، وما قد تجره عليهم من مشكلات ومتاعب.

إن الصمود والاستمرار، وعدم الخوف من الإخفاق أعمدة أساسية في خلق الإيجابية، وعبادات الإسلام وتكاليفه تصب جميعها في تنمية إرادة الصمود، حيث يظل المسلم يلاحق هدفا واحدا طوال حياته، بفعل الخيرات وترك المنكرات، وهذا الهدف هو نيل رضوان الله تعالى والفوز بالجنة.

وعلينا تشجيع كل أولئك المصرين على عملية المحاولة والخطأ، أولئك الذين يملكون الإرادة الحديدية، للاستمرار في طريق البناء والإصلاح والخير.... إلخ، مهما كانت التكاليف [٥].

ومن الضروري جدا السعي الجاد الدائم إلى تطوير شخصيات الدعاة، وارتقائها ونضوجها وتوسيع مداركهم، وصقل مواهبهم، وغمسهم في تيار الإيجابيات، ووضعهم في طريق الإبداع

---

(١) أحمد عبد الرحمن الصويان، "أسس الفساد"، دراسة بمجلة البيان، عدد ٢٦٩، محرم ١٤٣١هـ، يناير ٢٠١٠م، ص ٩٤، ٩٥.

(٢)سنن ابن ماجه، كِتَابُ الصَّدَقَاتِ، بَابٌ لِصَاحِبِ الْحَقِّ سُلْطَانٌ، (٢ / ٨١٠)، رقم (٢٤٢٦)، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح الترغيب والترهيب، ج٢، ص١٧٠.

(٣) "أسس الفساد"، المرجع السابق بمجلة البيان، عدد ٢٦٩، ص ٩٥.

(٤) "حلية الأولياء" جـ ٢٨، ص ١٠٨.

(٥) "مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي"، مرجع سابق، ص ٢٥٨، ٢٥٩.

الابتكاري، وتمكينهم من الحديث حول عظائم الأمور، وكبارها وأحسنها، إذ غيرهم يتحدث عن الصغائر، والهوامش والدون، فيكون التميز الذي هو عتبة درج التفوق[١].

بل عليهم إشغال جماهير المسلمين بهموم أمتهم الكبرى، ولفت أنظارهم وعقولهم، وقلوبهم إلى ضرورة التركيز عليها، والتنبه لها، والسعي الجاد ليحمل كل فرد جزءا منها، فيتوزع العبء الثقيل على العدد الكبير، فيسهل القيام به. وهذه بعض الهموم الكبرى لأمتنا، يجب التركيز عليها:

١. همّ الاستبداد والتسلط السياسي.
٢. همّ التغريب والغزو الفكري والثقافي.
٣. همّ التسيب والانحلال الأخلاقي.
٤. همّ التظالم الاجتماعي والاقتصادي.
٥. همّ التخلف العلمي التكنولوجي والحضاري.
٦. همّ التمزق العربي والإسلامي.
٧. همّ العدوان والاغتصاب الصهيوني.
٨. المجاعات المهلكة، والهجمات التنصيرية.
٩. البطالة المنتشرة.

إلى غير ذلك من الهموم التي ينبغي الاجتماع والتآلف من أجلها [٢].

❁ ❁ ❁

(١) أ/محمد أحمد الراشد "رؤى تخطيطية"، ط ١، ٢٠٠٧م، دار الأمة للنشر والتوزيع، ص ١٧٢.

(٢) د/يوسف القرضاوي، "الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم"، ص ١٣٧، ١٣٨.

المبحث الثاني: الرفق واللين، ونبذ العنف والتقريع

الأصل في الدعوة إلى الله أن تكون برفق ولين، فقد كان الرسول ﷺ لين الكلام، بشوش الوجه، وكان متواضعا، محببا إلى الكبير والصغير، يقف مع العجوز، ويقضي له غرضه، ويقف مع الفقير، ويتحمل جفاء الأعرابي، وكان دائم البسمة في وجوه أصحابه، وصدق الله حين خاطب نبيه، مبينا حسن خلقه: ﴿ٱلْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولما أرسل الله موسى وهارون – عليهما السلام – إلى فرعون، أطغى الطواغيت، أمرهما باللين معه، فقال: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤] [١]، وقد بين الإمام أبو السعود حكمة أمر الله باللين مع فرعون، فقال: فإن تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة، ويلين عريكة الطغاة [٢].

فالقول اللين والتبسم في الوجوه سحر حلال، وقيل لبعض أهل العلم: ما هو السحر الحلال؟ قال: تبسمك في وجوه الرجال [٣].

والرفق لازم من لوازم التبليغ، لا يتزين الخطاب الدعوي إلا به، ولا يتجمل إلا بصحبته[٤]، وصدق النبي . ﷺ . حين قال: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه"[٥]، وجاء عنه . ﷺ .: "إن الله رفيق يحب الرفق ويرضاه، ويعين عليه ما لا يعين على العنف" [٦].

وقد دعا النبي . ﷺ . لمن رفق بأمته، فقال: "اللهم من رفق بأمتي فأرفق به، ومن شق عليهم فشق عليه"[٧].

---

(١) د/ عائض القرني، "٣٠ وقفة في فن الدعوة"، دار الوطن للنشر والتوزيع، ط/٢١، ٢٠٠٢م، ص ٢٩، ٣٠.

(٢) انظر "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم"، تفسير أبي السعود، ط ٢، دار إحياء التراث العربي – بيروت، جـ٦، ص١٧.

(٣) "٣٠ وقفة في فن الدعوة"، ص ٣٠، مرجع سابق.

(٤) عبد الله الزبير عبد الرحمن، "من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق"، كتاب مجلة الأمة، عدد: ٥٦، ذو القعدة ١٤١٧هـ،ط/ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف بقطر، ص ١١٢، ١١٣.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، فضل الرفق، برقم (٧٨)، جـ١٦، ص٣٦٢.

(٦) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب الرقاق، باب في الرفق، حديث رقم (٢٦٩١)، جـ٣، ص٧٧٩. وانظر "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"، كتاب الأدب، باب في الرفق، ٨، ١٨، ١٩، وصححه الألباني، انظر: صحيح الأدب المفرد، ج١، ص١٩٣.

(٧) انظر "الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل"، كتاب الأخلاق الحسنة، باب الترغيب في الرفق وما جاء به، جـ ١٩، ص٨٥، رقم ٢٤٣٣٧، قال الألباني: صحيح، انظر: السلسلة الصحيحة، جـ٧، ص١٣٤٩.

وقد مضت سنة الله في الرفق وأهله أنه يعطيهم ما لا يعطي على العنف وأهله، فمن يرزق الرفق يرزق أسباب الخير، ومن يحرمه يحرم أسباب الخير، وصدق النبي . ﷺ . حين بيّن ذلك، فقال: "من يحرم الرفق يحرم الخير"[١].

والرفق هو لطافة الفعل، ولين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالسهل، وقد مضت سنة الله تعالى في أحوال الناس واجتماعهم، وفي إقبالهم على الشخص، وقبولهم منه وسماعهم قوله، مضت أن الناس ينفضون عن سيء الكلام، خشن الجانب، شرس الأخلاق، وإن كثرت فضائله، ولا يبالون ما يفوتهم من علمه ودعوته [٢].

إن الناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يعمهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، إنهم في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم، ولا يحتاج منهم إلى عطاء، يحمل همومهم ويجدون عنده دائما الاهتمام والرعاية، والعطف والسماحة[٣].

والداعية المؤمن لا تليق له إلا الرقة، والنزاهة، والجماليات المرهفة، واللفظ العذب، وطرائق اللين،ولذا وجب عليه أن يختار من الألفاظ أجملها وأحبها إلى النفوس، وأعظمها تأثيراً فيها، وجذبا لها، من غير استفزاز وإحراج وعدوان، ولا يليق له رفع الصوت والهيجان الصاخب الذي لا يثمر إلا العداوات والأخطاء!.

« وعلامة نضج الداعية أن يبرأ من كل حرف غليظ، ويكون مؤدبا حقا، في الزمن الشرس »، كما يقول الراشد الحكيم [٤].

إن الدعاة يجب أن يكونوا رموز الجمال، وأهل الاقتداء، مما يحتم علينا أن نكون على صفاء ونقاء، ونبعث في أتباعنا وروادنا الأذواق الرفيعة، ودقائق المعروف، والتعامل الشفاف، وأخلاق السادة، مع الكرم، والحلم، واللسان الطاهر، والكف الندى المفتوح.

إن الجمال نعمة من أتم النعم، وهو زين كله، ويمنح صاحبه هيبة وبهاء وطلعة مؤثرة، تأسر المقابل، ويدعه يحترم ويداري المثال الجمالي المنتصب أمامه، فهو (الجمال)، عامل من عوامل التربية النفسية بلا شك،ومعلم من معالم الهداية والموعظة،والواقع يؤكد هذه الحقيقة [٥].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ فَضْلِ الرِّفْقِ، (٤ / ٢٠٠٣)، رقم: ٢٥٩٢.

(٢) د/ عبد الكريم زيدان، "السنن الإلهية، في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية"، ط٣، ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة، ص ٢٨٢.

(٣) أ/سيد قطب، "في ظلال القرآن"، دار الشروق٧، جـ٤، ص١١٦.

(٤) أ/محمد أحمد الراشد، "، "آفاق الجمال"، ط١، دار المحراب للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، كندا، ص ٢٣، ٢٤.

(٥) المرجع السابق، ص ٣٠، ٣١.

إن الله جميل، يحب الجمال، وفي النفس الإنسانية أثر من ذلك، فهي تعشق الحسن، واللطائف، والألوان، وتستروح للمنظر المتناسب، والشيء المقدر الموزون، وتنفر من الفوضى والصخب، ومنكرات الأشكال، وما خرج عن الاستقامة، حتى جعل الله تعالى من أعظم المنن التي امتن الله بها علينا، إتاحة الاستمتاع بالجمال [1]، فقال: ﮋﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﮊ [النحل: ٥، ٦].

ومن هذا الجمال الحلية المذكورة في قوله تعالى: ﮋﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﮊ [النحل: ١٤]، ومن هذا الجمال في الخلقة قوله تعالى: ﮋﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﮊ [النحل: ٨].

لقد جعلنا الله . ﷻ . نطل دائما على آفاق الجمال الممتدة التي أنشأها لنا ربنا البديع، في كل شيء جعل الله جمالا، يذوقه ويبصره المؤمن، على طول المدى.

وهذا يؤثر في الداعية المؤمن، فيجعله سويا ناضجا حكيما، وتتألق شخصية الداعية، إذا نطق، وإذا فكر وإذا أشار، وإذا تحرك، وإذا أحب، وإذا أبغض، وفي كل أحواله.

– في أخلاقه، فتراه الوقور المعتدل، الدائر مع الزين والوسطية في شأنه كله، فلا مبالغة ولا شذوذ، ولا تطرف، بل هو السمح، المتئد، الودود، البسام.

– وفي عزمه المستمر، ورؤاه الممتدة، فهو مخطط، هادف، تضبط حركته وسكوته، مناهج ومقادير، ونسبيات، ومنطلقات مركزية [2].

– وفي أدائه وتنفيذه، فهو متدرج، يتوازى مع معطيات الواقع، ويتعاون مع غيره.

– وفي تفكيره ورأيه، فهو مجتهد، ومبدع، لعلمه أن الاجتهاد أفضل حالات الفكر [3].

وقد بين لنا الإمام القرطبي أن الجمال يكون في الصورة وتركيب الخلقة، ويكون في الأخلاق الباطنة، ويكون في الأفعال.

– فأما جمال الخِلقة: فهو أمر يدركه البصر، ويلقيه إلى القلب متلائما، مما يؤدي إلى تعلق النفس به، من غير معرفة بوجه ذلك.

– وأما جمال الأخلاق، فكونها على الصفات المحمودة، من العلم والحكمة، والعدل، والعفة، وكظم الغيظ، وإرادة الخير لكل أحد.

– وأما جمال الأفعال، فهو وجودها ملائمة لمصالح الخلق، وقاضية لجلب المنافع فيهم، وصرف الشر عنهم [1].

---

(١) أ/محمد أحمد الراشد، "آفاق الجمال"، مرجع سابق، ص ٣–٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٩، ١٠.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٠.

إن الدعوة طريقة إصلاحية، تعامل الناس، كل الناس، وفيهم الصالح وصريع الشيطان، وهي مكلفة بالرفق، وأن تمسح على رأس وصدر الشهواني الذي غلبته الملذات، وانغمس فيها، إذ عساه أن يكون ذكيا شجاعا، يخدم قضية الإسلام، بل قد يكون الفاسق التائب أفضل ممن استرسل في البراءة بعد الطفولة، لخبرة الأول بمعنى الفسوق والعصيان، وتجربته العملية المريرة، فيكون أبعد عن مفارقته ثانيًا، بعدما أسبل الإزار الطاهر [٢].

فعلى الداعية أن يحرص أن يكون بينه وبين الناس وبقية المؤمنين، صلة وعلاقة، وحال خيرية جارية، لا تنقطع، ومفتاح ذلك الإغضاء عن الزلات، والتقصيرات، وأن يكون إلى السماحة أقرب، ويتخذ التناسي سياسة. وصدق من قال: مدمن الإغضاء موصول، ومدمن العتب مملول [٣].

ومما تقتضيه مراعاة أحوال المخاطبين حرص الداعي على استخدام ما يتناسب معهم من اللين والشدة، فهناك أناسٌ لا تزيدهم الشدة إلا بعدا، ولا تنتج القسوة معهم إلا نفورا وإعراضا، وهناك آخرون لا يزيدهم اللين إلا طغيانا، ولا يثمر الرفق معهم إلا عصيانا، فيجب على الداعية مراعاة حال هؤلاء وأولئك،فيستخدم مع كل صنف من اللين أو الشدة، ما يرجى . بفضل الله . من ورائه نجاح الدعوة وقوة تأثيرها وفلاحها [٤].

وقد رأينا النبي . ﷺ . يصنع ذلك، فاستخدم اللين والشدة، في الموقف الملائم، والحالة المناسبة، فقد رفق النبي . ﷺ . بعمر بن أبي سلمة حينما كانت يده تطيش في الصحفة، وعلمه وأدبه، بحنان ومودة [٥]، وبالأعرابي الذي بال في المسجد [٦]، وبالشاب الذي جاء النبي يستأذنه في الزنا، فحاوره ولطف به، وأقنعه بقبح ما أراد، ودعا له فأصلحه الله [٧]، وغير ذلك من مواقف عديدة تبين رفقه ولينه . ﷺ . .

---

(١) الإمام القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن" دار الكتب المصرية – القاهرة –الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م ، جـ١٠، ص٤٧، سورة النحل آية رقم: ٦.

(٢) "عبير الوعي"، أ/ محمد أحمد الراشد، مرجع سابق، ص٤٢.

(٣) المرجع نفسه، ص٦١، ٦٢.

(٤) د/ فضل إلهي،"من صفات الداعية مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين"، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض، ،ط/١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ١٧٩، ١٨٠.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، رقم الحديث (٥٣٧٦)، جـ٩، ص٥٢١.

(٦) صحيح البخاري، باب وجوب غسل البول، وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، رقم الحديث (١٠٠)، ص٣٦، ٣٧.

(٧) مسند الإمام أحمد، جـ٥، ص٢٥٦، ٢٥٧، رقم ٢٢٢١١، قال الألباني: صحيح، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج١، ص٣٦٩.

أما الشدة، فقد استخدمها النبي . ﷺ . مع من تختم بالذهب [١]، ومع الإمام الذي أطال الصلاة، ولم يراع حال المأمومين [٢]، ومع أحوال أخرى اقتضت الشدة.

- أحوال يعدل فيها الداعية عن الرفق واللين إلى الشدة: من تلك الأحوال ما يلي:

(أ) عند انتهاك حرمات الله، والجراءة عليها، وعند إقامة الحدود.

(ب) عند ظهور الاستهزاء بالدين، والعناد مع شرع الله، وإظهار ذلك.

(ج) عند بدور مخالفة الشرع، لدى من لا يتوقع منه ذلك [٣].

ولابد عند استخدام الشدة من النظر إلى العواقب والنتائج المترتبة على ذلك، فإن تأكد لدى الداعي أن استعمال الشدة سيثمر منكرا أعظم من المنكر الذي أراد إزالته، أو سيفوت مصالح أهم، حينئذ يحرم على الداعي اللجوء للشدة [٤].

إن على الداعية إيثار الكلمة الرقيقة، والأسلوب العذب، مع التشبيهات الجميلة، والبعد عن الأمثال والتشبيهات القبيحة أو المنفرة، وعليه تجنب صيغة الأمر والنهي، فلم تعد مقبولة في كل موضع، لأن الحضارة الحديثة قد وسعت دائرة الخصوصيات والحرية الشخصية إلى أبعد حد ممكن، لذا ينبغي أن نشعر المخاطب أننا لا نعتدي على أي منهما.

فقول الداعية: ما رأيكم لو عملنا كذا؟ ألطف وأوقع من قوله: اعملوا كذا، وكفوا عن كذا... [٥].

ومن المعلوم أن أسلوب النقد اللاذع، والتوبيخ المستمر القارع، يخرج جيلاً فاقداً للثقة في نفسه، محطم الآمال، يشعر أنه مجموعة متراكمة من الأخطاء، والفشل، مما يجعله يعيش بعيدا عن المزاحمة في ميادين العمل، والنشاط الخير [٦].

وهذا لا يعني التخلي عن بيان الأخطاء والحديث عنها، ولكن ذلك بتوازن واعتدال .

إن بعض الدعاة يكثر جدًا من توجيه نقده المر الدائم، والتقريع للمستمعين، خاصة المتدينين الذين يقومون بدور دعوي إصلاحي كبير في مجتمعاتنا، نعم هناك ثغرات ومواطن ضعف وخلل لديهم، لابد من علاجها وتسديدها، لكن الإفراط الشديد في هذا النقد، يغيب عنه الاعتدال والموضوعية والإنصاف، ويترتب عليه محاذير عدة، منها ما يلي:

---

(١) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم خاتم الذهب على الرجال، رقم الحديث (٥٢)، جـ٣، ص١٦٥٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، رقم الحديث (٣٠)، ج١، ص٨٤، مرجع سابق.

(٣) د/ فضل إلهي، "من صفات الداعية: اللين والرفق"، من ص ٣٤-٥٨، مرجع سابق.

(٤) المرجع نفسه، ص ٥٩-٦٠.

(٥) "مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي"، ص ١٥٣، ١٥٤، مرجع سابق.

(٦) "تأملات في العمل الإسلامي"، ص ٢٠، ٢١ ، مرجع سابق.

١- نسيان محاسن هؤلاء المتدينين الساعين إلى الإصلاح، وإيجابياتهم، فهم -مثلاً- إن قصروا في قيام الليل، إلا أنهم يسرعون إلى صلاة الفجر، رغم الجهد والتعب، وهم الذين تعففوا عن الحرام في ظل واقع مليء بوسائل الإغراء والإثارة، وهم الذين يتورعون عن الصغائر، ويبادرون بالتوبة من اللمم، في حين يفاخر غيرهم بارتكاب الكبائر، ويسعون إليها بكل سبيل.

وهؤلاء الساعون إلى الإصلاح . في مجملهم . متفوقون في أعمالهم، ودراستهم، مع ما يحملونه من هموم تتعلق بشعوبهم وبلادهم [١].

٢- إن كثيراً من الأهداف التي يرتجى تحقيقها من خلال النقد المؤلم، يمكن الوصول إليها بطرق أخرى غير هذا النقد!.

- فمثلاً يمكن الحديث عن النماذج الصالحة في مجال من المجالات، بطريقة تشحذ الهمم، للتأسي والاقتداء، وتصرف عن التقصير والكسل والقعود.

- ومعلوم ما يفعله الإيحاء غير المباشر في النفوس، من نهضة وعزمه وقوة على الرقي [٢]، وهذا نتعلمه من نبينا . ﷺ . فحين قصت السيدة حفصة بنت عمر على رسول الله . ﷺ . رؤيا أخيها عبد الله، طالبة بيان ما فيها، قال لها النبي: نِعمَ الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل"[٣].

وكثيرٌ ممن يمارسون هذا الأسلوب السيئ، من إدامة التوبيخ والتقريع، قد يوجب - كثيراً - ما لا يجب، ويمنع ما لا يلزم منعه، فالنوافل يجب أن تبقى نوافل، ولا يمكن تحويلها إلى واجبات، يطالب الناس بها كما يطالبون بالواجبات.

أما دقائق الورع فإنما هي مراتب فاضلة للخاصة، لا للعامة، « فعلام نؤثم من لم يؤثمه الشرع، ونوجب ما لم يوجبه؟ »[٤].

إن النفس تحتاج للثناء والتشجيع، وتحتاج للشعور بالنجاح والإنجاز، كما أنها تحتاج للنقد والتسديد، لكن ما يأخذه النقد واللوم من واقعنا أكثر بكثير مما يأخذه الجانب الآخر.

والثناء المنضبط يشعر الشخص بالرضا والثقة بالنفس، والقدرة على الإنجاز، والفعل، والتأثير، والتغيير، في ظل جيل يعاني من الإحباط، وتسبق هواجس الإخفاق تفكيره في أي خطوة يخطوها، أو مشروع يقدم عليه.

---

(١) "تأملات في العمل الإسلامي"، المرجع السابق، ص ٢٠، ٢١ .

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٠.

(٣) صحيح البخاري، كِتَابُ الجُمُعَةِ، بَابُ فَضْلِ قِيَامِ اللَّيْلِ، (٢ / ٤٩)، حديث رقم (١١٢٢).

(٤) "تأملات في العمل الإسلامي"، مرجع سابق، ص٢٠، ٢١.

إن النقد الدائم واللوم يسهم في تكريس الشعور بالفشل، والعجز، ونموه في النفس، وسيطرته عليها!، في حين يثير الثناء تطلع الآخرين وحماستهم للتأسي والاقتداء بالمثنى عليه، وإبرازه مثلا حيا مشاهدا أمامهم [١].

فليس للداعي الذكي أن يجعل كل حديثه نقدا وتخطئة للآخرين، وحشدا لمساوئهم وذنوبهم، كأنه لا حسنة لهم تستحق الإشادة، وعليه ألا تكون كلمته ضربة في وجه صاحب المنكر، يصفعه بها، دون مقدمات ولا تمهيدات.

إن الثناء على الإنسان . فرداً أو جماعة . بما هو فيه لغرض شرعي صحيح أمر لا غبار عليه، بل هو مطلب شرعي عندئذ. فلا بأس أن يزين الداعية نصحه بثناء جميل مقتصد على حسنات لدى المنصوح، . فرداً أو جماعة .، يكون في ضمنها دعوة له إلى نشدان الكمال البشري الممكن له، وقد رأينا النبي . ﷺ . يثني على جماعات من أصحابه الكرام، كخالد بن الوليد، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، وأبي ذر، وسواهم كثير.

وعليه تعاهد المدعوين بالنصح بين حين وآخر، لئلا يملوا ويسأموا، وليحذر أن يحشد لهم كل ما ينتقده عليهم في قعدة واحدة ![٢].

فالعصاة إما جاهلون بحقيقة الدين، يجب أن يعلَّموا، أو متورطون في المعصية بتأثير صحبة السوء، وبيئة السوء، يجب أن ينقذوا، أو غافلون عن الآخرة بمشاغل الدنيا، يجب أن ينتبهوا، ويذكروا.

إن لعن الناس لا يقربهم من الخير، بل هو أحرى أن يبعدهم عنه، وأولى من هذا الموقف السلبي أن يتقدم الداعية من أخيه العاصي فيدعوه، ويدعو له، ولا يدعه فريسة للشيطان! [٣].

وليقتد الداعية بمعروف الكرخي الذي كان قاعدا يوما على دجلة ببغداد، فمر بهم صبيان في زورق، يضربون بالملاهي، ويشربون، فطلب من معروف أن يدعو عليهم، لعصيانهم الله، فرفع يديه إلى السماء وقال: إلهي وسيدي، كما فرحتهم في الدنيا أسألك أن تفرحهم في الآخرة، فقال له أصحابه: إنما سألناك أن تدعو عليهم، ولم نقل ادع لهم!، فقال لهم: إذا فرحهم في الآخرة: تاب عليهم في الدنيا، ولم يضركم ذلك [٤].

---

(١) المرجع نفسه، ص ٧٩، ٨٠.

(٢) د/عائض القرني، "حتى لا تغرق السفينة" ، ص ٥٣، ٥٥، مرجع سابق.

(٣) "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف"، ص ٢٢٨، مرجع سابق.

(٤) بهاء الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، "المستطرف في كل فن مستظرف"، ط دار الفكر العربي، بيروت، جـ١، ص١٨٦.

فعلى الداعية ألا يغضب إن طرح عليه شاب مشكلة وأنه في وقع في معصية، فقد أُتي الرسول . ﷺ . برجل شرب الخمر . وهو من الصحابة .، فأتي به يوما فأمر به فجلد ، فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به!، فغضب النبي، وقال للرجل الساب اللاعن: " لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله " [١].

فلا يأس من الناس، مهما بدرت منهم المعاصي والأخطاء، بل يعتبرهم أمل هذه الأمة، وسوف تفتح لهم أبواب التوبة، وسوف نراهم . إن أحسنا رعايتهم ودعوتهم . صادقين مخلصين، تائبين، مع مراعاة التدرج معهم ورعاية واقعهم .

فالداعية لا ييأس من استجابة الناس له، بل يصبر ويثابر، ويسأل الله لهم الهداية في سجوده، ولا يستعجل عليهم [٢]، وليقتد بنبيه . ﷺ . الذي لم ييأس من كثرة الإيذاء، والشتم، وقد حقق الله لنبيه ما رجاه حين قال لملك الجبال: "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً"[٣].

فأخرج الله من أصلاب الكفرة القادة، فمن صلب الوليد بن المغيرة: خالد بن الوليد، والوليد بن الوليد، ومن صلب أبي جهل: عكرمة بن أبي جهل.

إن الداعية النبيل يرعى من دونه، ويكفله ويربيه، ويصوبه، ويمنحه فرصة للاقتباس والتشبه، ويظل كذلك، فلا تبقى عنده حساسية تنفره من غافل يقارف، وفاسق سادر.

ويسعى إلى إضافة جهد الفسقة في ساعاتهم الخيرية إلى جهد الصالحين، وتوظيف شظايا خيرهم في خطة الإصلاح والتغيير المطلوب،وعدم إهدار طاقات في المجتمع،لعلها ضعف طاقاتنا.

وعلى الدعاة كبح شهوة النفس في التعامل الغليظ مع الفساق، والمنحرفين، وتعويد النفس كظم الغيظ، والعفو عن الناس، وبذل الحب للمسيء كبذله للمحسن [٤].

وعليه أن يدرك أنه مسئول عن دعوة الناس، وترغيبهم في القرب من الحق، والتزامه، مع يقينه أن القلوب بيد الله سبحانه، يقلبها كيف شاء، وأن الله إذا أراد هداية عبده إلى الحق، فإن كلمة واحدة قد تحول من حياته، وتجعله نصيرا للحق، محبا، متفانياً في الذود عنه، بعد أن كان بخلاف ذلك.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر، ج٦، ص٢٤٨٩، رقم ٦٣٩٨.

(٢) د/عائض القرني، "٣٠ وقفة في فن الدعوة"، ص ١٠.

(٣) صحيح البخاري، كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ، بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ، (٤ / ١١٥)، رقم: ٣٢٣١.

(٤) أ/محمد أحمد الراشد، "منهجية التربية الدعوية"، ص ٣٧١، ٣٧٣، ط: كندا –دار المحراب –٢٠٠٢.

إنه لا ينبغي للداعية أن يقف ممن يدعوه موقف المعادي الذي يسعى إلى إنزال المكروه بخصمه، بل عليه أن يمتلئ قلبه بالرحمة، ليتسع للقريب والبعيد، والصديق والعدو، والمسلم والكافر.

وعليه أن يتجنب في خطابه مع الآخرين تتبع الأخطاء ونشرها، بهدف التشهير والفضح، وعليه الابتعاد عن المنابذة والتراشق بالألفاظ وكيل الاتهامات، وتلمس المعايب، التي لا يخلو منها بشر.

ولابد أن يعرفوا أنه مهما كانت خصومة الآخرين لهم، ومهما وصل الكيد والمكر من جهتهم لخصومهم، فإن الداعية يظل مثابرا على فكرته، لا يثأر لنفسه، ولا يعالج الأمور بمجرد ردود الفعل الآتية، بل يصبر ويحتسب، مع استخدام الأساليب التي قد تجعل من العدو صديقا، ومن المحارب للدعوة نصيراً.

إن الدعوة إلى الله تعالى، تحتاج إلى طول ممارسة، وصدق مع الله، وحسن سلوك، يتمثل فيه القدوة الحسنة، وثبات على الحق، وحكمة في التعامل مع الناس، وعدم يأس، وصبر على البلاء، وفهم صحيح دقيق لنصوص الكتاب والسنة، وزهد عما في أيدي الناس، وإبراز لمحاسن الإسلام، والاهتمام بتزكية النفوس، وحسن اختيار الأساليب والألفاظ التي تفتح البصائر، لمعرفة الحق، وترغب فيه [١].

❁ ❁ ❁

(١) د/ عبد الوهاب الديلمي، "إشراقات قرآنية في طريق الدعاة"، مجلة حراء، عدد ٢٠، يوليو . سبتمبر ٢٠١٠م، ص ٤٣ . ٤٧ .

المبحث الثالث: التيسير والتبشير

منهج الداعية الناجح هو أخذ الناس بالتبشير لا بالتنفير، وبالتيسير لا بالتعسير.

إن الإسلام لا يمت إلى التعسير بصلة، فقد تزينت أحكامه بالتيسير، وتجملت شرائعه بدفع المشقة، وتطيبت مقاصده برفع الحرج والضيق [(١)].

ومن الآيات المبينة لذلك، قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال تعالى عن دينه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، أما السنة، فقد ورد فيها أحاديث كثيرة تبين أصالة هذا الأمر، فقد ورد في مسند الإمام أحمد، من حديث أبي هريرة مرفوعا: " إِنَّ دِينَ اللَّهِ فِي يُسْرٍ ثلاثا "(٢).

وفيه أيضًا بسند صحيح: "إن خير دينكم أيسره، إن خير دينكم أيسره، إن خير دينكم أيسره" [(٣)].

فمن الصفات التي تساعد الدعاة على الإيغال بدعوتهم بين الناس، معالجة الأمور باليسر والتيسير، وليس بالعسر والتعسير، والناس أصناف شتى يتفاوتون في القدرة والاحتمال، فما يطيقه هذا لا يتحمله ذاك، وما يتناسب مع هذا قد لا يتناسب مع ذاك، وهكذا.

فسماحة الداعية ولينه وسهولة معشره هي التي تفتح مغاليق القلوب، وتنفذ به إلى أعماق النفوس، يلامسها بالهداية فتقبل، ويدعوها إلى الخير فتستجيب.

إن هذا الخلق يجب أن يلازم الداعية في شئونه كلها، في بيته، وفي بيعه، وشرائه، وفي تقاضيه، ومع الزملاء والجيران، والناس جميعا.

إن القاعدة النبوية في التعامل مع الآخرين، والتي يجب أن تحكم أسلوب الدعوة والداعية، تبدو جلية واضحة في قول النبي . ﷺ .: "يسروا ولا تعسروا، بشروا ولا تنفروا "[(٤)].

وكان الرسول . ﷺ . يعلم هذا الخلق لأصحابه، ويدربهم عليه عمليا، فعندما بال الأعرابي في المسجد، وهمَّ الناس أن يوقعوا به، علمهم النبي قائلا: "دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء، أو ذنوبا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين"[(٥)] [(٦)].

قد يفتي العالم بالأحوط لبعض أهل العزائم، والمتورعين من المتدينين، أما العموم فالأولى بهم الأيسر.

---

(١) عبد الله الزبير بن عبد الرحمن، "من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق"، مرجع سابق، ص٨٣، و "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف" ص٢٠٩، ٢١١، مرجع سابق.

(٢) مسند الإمام أحمد، جـ٥، ص٦٩، رقم: ٢٠٦٦٩، إسناده حسن.

(٣) مسند الإمام أحمد، جـ٤، ص٣٣٨، و جـ٥، ص٣٢. وقد صححه الحافظ ابن حجر في الفتح، جـ١، ص٩٤.

(٤) صحيح البخاري، كِتَابُ العِلْمِ ، بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالعِلْمِ كَيْ لاَ يَنْفِرُوا، (١/٢٥)، رقم: ٦٩.

(٥) صحيح البخاري، كِتَابُ الوُضُوءِ ، بَابُ صَبِّ المَاءِ عَلَى البَوْلِ فِي المَسْجِدِ، (١ / ٥٤)، رقم: ٢٢٠.

(٦) أ/ فتحي يكن، "الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية"، ط١٣، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م، ص ٣٨-٤٠.

وعصرنا أكثر من غيره حاجة إلى إشاعة التيسير على الناس بدل التعسير، والتبشير بدل التنفير، ولاسيما مع من كان حديث عهد بإسلام، أو كان حديث عهد بتوبة، أو كان يحتاج إلى التخفيف من مريض أو كبير سن، أو ذي حاجة [١].

وهذا واضح تماماً في هدي النبي . ﷺ . في تعليمه الإسلام لمن يدخل فيه، فهو لا يكثر عليه الواجبات، ولا يثقله بكثرة الأوامر والنواهي، وإذا سأله عن الإسلام، اكتفى بتعريفه بالفرائض الأساسية، ولم يغرقه بالنوافل ، فإذا قال له الرجل: لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، قال الرسول له: "أفلح إن صدق"[٢]، أو "دخل الجنة إن صدق"[٣].

بل رأيناه . ﷺ . يشدد نكيره على من يشدد على الناس ولا يراعي ظروفهم المختلفة، كما فعل مع بعض الصحابة الذين كانوا يؤمون الناس، ويطيلون في الصلاة إطالة، اشتكى منها بعض مأموميهم.

إن بعض الدعاة يخلط بين الصراحة في الحق، والخشونة في الأسلوب، مع أنه لا تلازم بينهما، والداعية الحكيم هو الذي يوصل الدعوة إلى غيره، بألين الطرق، وأرق العبارات، دون أدنى تفريط في المضمون، أو إهمال لحق من حقوق الله تعالى.

والواقع يثبت أن الأسلوب الخشن يضيع المضمون الحسن [٤]، لذا اشترط العلماء فيمن يدعو، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يكون رفيقا فيما يأمر به، رفيقا فيما ينهى عنه، حليما فيما يأمر به، حليما فيما ينهى عنه، فقيها فيما يأمر به، فقيها فيما ينهى عنه.

تجد بعض الدعاة كأنما التعسير عندهم عبادة، والتنفير فريضة، والتشديد والتكلف . حيث ينبغي التيسير . منقبة، فهم في الصلاة معسرون، وفي الوضوء واللباس كذلك، وفي بيوتهم معسرون، وفي مأكلهم ومشربهم وعلاقاتهم مع غيرهم معسرون، وفي الدعوة كذلك... إلخ.

إن التيسير ضرورة، وبخاصة في هذا العصر الذي رق فيه الدين وضعف فيه اليقين، فالشريعة روحها التيسير، ويخاطب الدكتور القرضاوي كل داعية: « يا أخي، إذا كنت تريد أن تشدد، فشدد على نفسك، لكن إذا أفتيت الناس أو خاطبت الناس، فراع أن فيهم الضعيف والمريض وذا الحاجة، كما قال النبي . ﷺ .....، حتى يقبلوا على الدين، ولا ينفروا منه ».

---

(١) د/ يوسف القرضاوي، "في فقه الأولويات"، دراسة جديدة في القرآن والسنة، ط٤، ٢٠٠٠م، مكتبة وهبة، ص ٥٥، ٧٣. و "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف"، ص٢١٢، مرجع سابق.

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابٌ: الزَّكَاةُ مِنَ الإِسْلاَمِ، (١ / ١٨)، رقم :٤٦.

(٣) صحيح البخاري، كِتَابُ الصَّوْمِ ، بَابُ وُجُوبِ صَوْمِ رَمَضَانَ، (٣ / ٢٤)، رقم: ١٨٩١.

(٤) "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف"، ص٢١٣، مرجع سابق.

ويحكي د/ القرضاوي حادثة له في هذا الشأن، حين أفتى بأن من أتى امرأته من دبر فقد ارتكب حراما، ولكنها لا تطلق، وهناك أمر شائع عند كثير من الناس، أن من فعل هذا الأمر طلقت امرأته، وبعد إفتائه بذلك اتصل به بعض الناس، معترضا على فتواه، بدعوى أن ترك الناس يعتقدون بتطليق المرأة في هذه الحال زجر لهم وتشديد، يمنع من فعل هذا المنكر، فكان رد الدكتور القرضاوي عليهم: « سبحان الله، تريدون أن أغير دين الله، من أجل أن أغلظ على الناس؟، لا، الحق يجب أن يقال »[١].

وذكر أن بعض الدعاة يشددون على الناس إرضاء لهم، ويتبعون أهواء العامة، بمزيد من التشدد، وهذا أمر خطر ولا يجوز، فالله يقول: ﴿ٱلْحَاقَّةُ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩] [٢].

إن من الأخطار الكبيرة وجود من يتبنون التشديد والتضييق، وتحجير ما وسع الله، وتعسير ما يسر على عباده.

وهناك قوى معادية للإسلام تستغل وجود هؤلاء، لتنفر جماهير الناس من ظهور الإسلام نظاما حاكما للحياة، وبذلك ينعزل الجمهور –الذي ينشد اليسر، ويكره العسر– عن الدعاة، بل أحيانا كثيرة يقف منهم موقف الجفاء والخصام، وهذه خسارة كبرى للدعوة والمجتمع [٣].

ومن التيسير المطلوب: الاعتراف بالضرورات، التي تطرأ في حياة الناس، سواء أكانت ضرورات فردية أم جماعية، فقد جعلت الشريعة لهذه الضرورات أحكامها الخاصة، وأباحت بها ما كان محظورا في حالة الاختيار من الأطعمة والأشربة والملبوسات والعقود والمعاملات.

وأكثر من ذلك أنها نزلت الحاجة في بعض الأحيان . خاصة كانت أو عامة . منزلة الضرورة أيضًا، تيسيرا على الأمة، ودفعا للحرج عنها.

والأصل في ذلك ما جاء في القرآن عقب ذكر الأطعمة المحرمة في أربعة مواضع من القرآن، دفع فيها الإثم عن متناولها مضطرا، غير باغ ولا عاد، فقد قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣].

ووجدنا السنة النبوية، تبيح لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام، . رضي الله عنهما . بلبس الحرير،لما شكوَا إلى النبي . ﷺ . من حكة بهما،فأذن لهما النبي تقديرا لهذه الحاجة [٤].

---

(١) د/يوسف القرضاوي، "الصحوة الإسلامية بين الآمال والمحاذير"، ط دار الوفاء، ط٢، ١٩٩٤م ص٣٢-٣٤. و أ/فتحي يكن، "الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية"، مرجع سابق، ص٣٩.

(٢) "الصحوة الإسلامية بين الآمال والمحاذير"، مرجع سابق، ص٣٤.

(٣) "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف"، مرجع سابق، ص ٧.

(٤) "في فقه الأولويات، دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة"، مرجع سابق، ص٧٦.

ومن التيسير المطلوب: ضرورة الاعتراف بالتغير الذي يطرأ على الناس، سواء أكان سببه فساد الزمان، كما يعبر الفقهاء، أو تطور المجتمع، أو نزول ضرورات به، ومن ثم أجاز فقهاء الشريعة تغيير الفتوى، بتغير الزمان والمكان، والأعراف، والأحوال، مستدلين في ذلك بهدي الصحابة، وعمل الخلفاء الراشدين الذين أمرنا النبي أن نهتدي بسنتهم، بل هو ما دلت عليه السنة النبوية، وقبلها القرآن الكريم [١].

فمن الضروري تعامل الداعية مع المدعوين بروح البنوة والأخوة والصداقة [٢].

ومن الحرص المطلوب على المدعوين دراسة حالاتهم، ومعرفة أقرب الطرق إلى عقولهم وقلوبهم، فالتأثير اليوم في الناس لم يعد سهلا، كما كان من قبل، والذي يفهم طريقة تفكير الناس، ويعرف مفاتيح اهتماماتهم يستطيع النفاذ إليهم أكثر من غيره.

ثم عليه السؤال عنهم، وتحسس أحوالهم، لتقديم العون لهم، والمسارعة إلى مشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم.

لأن الناس يهتمون بشخص الداعي، وبما يدعو إليه على قدر ما يبديه من اهتمام بهم [٣].

لذا على الداعية أن يكون رجل تربية، يجيد صنعة الرفق، فإن الرجل التربوي له حنان، ويعلم الناس التفاؤل، بل يحول الآهات ألحانا، وآلام المدعو أفراحا [٤]، وقد قيل [٥] في أحد دعاة الإسلام، ممن احتضن الشباب وعلمه العمل بجد وأدب وإيجابية:

فضمه الشيخ، والأنات صاعدة حتى استحال بلمس الشيخ فرحانا

❁ ❁ ❁

(١) المرجع نفسه، ص٧٦، ٧٧.

(٢) "بصائر دعوية، ص ١٢٧، مرجع سابق.

(٣) "مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي"، مرجع سابق، ص١٢٨.

(٤) أ/ محمد أحمد الراشد، "رؤى تخطيطية"، ط١، ٢٠٠٧م، دار الأمة للنشر والتوزيع، ص٢٤.

(٥) القائل هو الشاعر الجزائري، محمد براح في وصف شيخه الداعية، الكبير، محفوظ نحناح ، انظر ديوان الشاعر "نسائم الفجر الصادق"، ص٣٧ في "رؤى تخطيطية"، ص٢٤.

المبحث الرابع: فهـم الشريعة فهماً صحيحـــاً

إن معرفة الشريعة لا تتم بمجرد معرفة نصوصها الجزئية، متفرقة متناثرة، مفصولا بعضها عن بعض، بل لابد من رد فروعها إلى أصولها، وجزئياتها إلى كلياتها، ومتشابهاتها إلى محكماتها، وظنياتها إلى قطعياتها، حتى يتألف منها جميعا نسيج واحد، مرتبط بعضه ببعض، متصل لحمته بسداه، ومبدؤه بمنتهاه.

أما أن يعثر الداعية على نص من آية كريمة، أو من حديث نبوي، يفيد ظاهره حكما فيتشبث به، دون أن يقارنه بالأحاديث الأخرى، وبالهدي النبوي العام وبهدي الصحابة والراشدين، بل دون أن يرده إلى الأصول القرآنية نفسها ويفهمه في ضوء المقاصد العامة للشريعة، فلن يسلم من الخلل في فهم النص، والاضطراب في استنباطه، وبذلك يضرب الشريعة بعضها ببعض، ويعرضها لطعن الطاعنين وسخرية الساخرين [١].

وفي ذلك قال الشاطبي: « فمن الواجب اعتبار تلك الجزئيات بهذه الكليات عند إجراء الأدلة الخاصة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، إذ محال أن تكون الجزئيات مستغنية عن كلياتها، فمن أخذ بنص مثلا في جزئي، معرضا عن كليه فقد أخطأ، وكما أن من أخذ بالجزئي معرضا عن كليه فهو مخطئ، كذلك من أخذ بالكلي معرضا عن جزئيه »[٢].

إن الشريعة الإسلامية نظام متكامل، ونسيج يكمل بعضه بعضا، ويفسر بعضه بعضا، ولذا وجب عند مراعاة مقصد معين ومصلحة جزئية ألا تعود على ما هو أهم بالإبطال والتعطيل، وأن تخدم النظام المقاصدي كله [٣].

ومعرفة القطعي من الظني في شريعتنا أمر ميسور ومحسوم، بفضل الله تعالى، الذي حفظ شريعته من الضياع والتحريف والاختلال، والذي بين ما هو مقطوع به، وما هو مظنون فيه، رحمة بعباده وامتنانا، فبيان المقطوع لدرء الاختلاف والاضطراب، ولأنه لا يخضع لاعتبارات الزمان والمكان والحال، والمظنون مقصود به التيسير والتخفيف والتنوع والثراء، ومواكبة الاختلاف والتغير في الزمان والبيئات والظروف والأحوال [٤].

إن الظنيات هي المسائل التي لا نص على أحكامها، والتي تسمى منطقة العفو، والتي يحكم فيها بموجب النظر المصلحي، والمقاصد الشرعية، عن طريق القياس، والاستحسان، والعرف واعتبار المآل [٥].

---

(١) "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف"، مرجع سابق، ص ١٥٢، ١٥٤.

(٢) الإمام الشاطبي، "الموافقات"، جـ٣، ص٨، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٣) "الاجتهاد المقاصدي...."، ج٢،ص١٥٠، مرجع سابق.

(٤) المرجع نفسه، جـ٢، ص٣٦.

(٥)المرجع نفسه، جـ٢، ص١٠٨.

فمن أحكام الدين ما يتعلق بالعقائد التي تحدد نظرة الدين إلى المبدأ والمصير، إلى الله والكون والحياة والإنسان، أو ما يسميه علماء الدين والعقيدة عندنا: الإلهيات، والنبوات والسمعيات، وهذه حقائق ثابتة لا تتغير.

ومن هذه الأحكام ما يتعلق بشعائر العبادات الرئيسية التي تحدد صلة الإنسان العملية بربه، وهي التي تعتبر أركان الإسلام ومبانيه العظام، وهذه في أسسها العامة ثابتة، وإن كان الاجتهاد يدخل عليها في بعض من التفاصيل، ومنها ما يتعلق بالقيم الخلقية، ترغيبا في الفضائل، وترهيبا من الرذائل، وهذه تتميز بالثبات أيضًا في مجموعها.

وهذه الثلاثة لا يحتاج الناس إلى تغييرها، بل إلى ثباتها واستقرارها، لتستقر معها الحياة، وتطمئن العقول والقلوب [١]، ولن يقوم أمر الإنسانية وأمنها وفلاحها في الدارين إلا إذا كانت تلك الحقائق الثابتة مركوزة في الأذهان، مشفوعة بالأعمال الصالحة، متبوعة بنظم وعلاقات متزنة ومتماسكة، ومفيدة في شتى نواحي الحياة، وأحوالها، وتصاريفها، في السياسة، والاقتصاد والاجتماع، والتربية والأسرة، والتعليم وغيره [٢].

أما نظم الحياة المختلفة، مثل: نظام الأسرة والمواريث ونحوها، ونظام المعاملات والمبادلات المالية، ونظام الجرائم والعقوبات، والأنظمة الدستورية، والإدارية، والدولية ونحوها، وهي التي يفصل أحكامها الفقه الإسلامي، بمختلف مدارسه ومذاهبه، هذه النظم ذات مستويين: الأول: مستوى يمثل الثبات والدوام، وهو ما يتعلق بالأسس والمبادئ والأحكام التي لها صفة العموم، وهو ما جاءت به النصوص القطعية الثبوت، القطعية الدلالة، التي لا تختلف فيها الأفهام، ولا تتعدد الاجتهادات، ولا يؤثر فيها تغير الزمان والمكان والحال [٣].

المستوى الثاني: يمثل المرونة والتغير، وهو ما يتعلق بتفصيل الأحكام، في شؤون الحياة المختلفة، وخصوصا ما يتصل بالكيفيات والإجراءات ونحوها، وهذه قلما تأتي فيها نصوص قطعية، بل إما أن يكون فيها نصوص محتملة، أو تكون متروكة للاجتهاد، رحمة من الله . تعالى .، غير نسيان [٤].

إن التمييز بين الأحكام القطعية والظنية ضروري، لأن ذلك يفيد أنه لا يجوز إقحام العقل الاجتهادي في الأحكام القطعية الدلالة، بينما الأحكام الظنية الدلالة قابلة للاجتهاد.

---

(١) د/ القرضاوي، "بينات الحل الإسلامي"، ص٧٦، ٧٧، و "الاجتهاد المقاصدي"، للدكتور/ نور الدين الخادمي، جـ٢، ص٩٣-٩٤، ٩٧، ١٠٢-١٠٤، مرجع سابق.

(٢) المرجع نفسه، جـ٢، ص٩٣.

(٣) المرجع نفسه، جـ٢، ص٩٤، ٩٥.

(٤) "بينات الحل الإسلامي"، مرجع سابق، ص٧٧. و "الاجتهاد المقاصدي"، جـ٢، ص١٠٥، ١٠٨، مرجع سابق.

ومعنى هذا أن الأحكام القطعية ثابتة دائمة،لا تتغير،بينما الأحكام الظنية قابلة للتجديد والتغيير.

ولذا يحرم الاختلاف حول القطعي في دلالته، بينما الظني قابل للاختلاف حوله، والاتفاق في الأحكام الظنية، المحتملة للفهوم المتعددة ليس ضروريا، وهو . الاختلاف فيها . رحمة وتوسعة على الأمة، وهو اختلاف تنوع، لا اختلاف تضاد، ولا يجوز للمسلم أن ينكر على المخالف في أحكام الظنيات، إن كانت مخالفته مبنية على اجتهاد، لا يخالف نصاً ثابتاً [١].

كما أن الجدال الشديد، والمراء في هذه الأمور لا يجوز، "لأن الخلاف في مثل هذه القضايا يدور بين الجائز والأفضل، لا بين الجائز والممنوع، ولكل رأى فيها دليل ووجهة" [٢]، كما يستحب تجنب الخلاف، والخروج منه، تأليفا للقلوب [٣].

إن القضايا الكبرى في الإسلام، مثل: الألوهية والنبوة والجزاء، وأصول العبادات، وأمهات الأخلاق، (فضائل ورذائل)، والأحكام الأساسية للأسرة، والميراث، والحدود، والقصاص، ونحو ذلك، قد بينتها آيات محكمات، تقطع النزاع، وتجمع الكل على كلمة سواء، فهي ثوابت الدين، وأكدت هذه القضايا السنة النبوية، قولا وفعلا وتقريرا، كما أكدها الإجماع اليقين من علماء الأمة، واقترن بها التطبيق العملي من الأمة.

إنه ينبغي التركيز في الدعوة إلى الله على القطعيات المجمع عليها، لا على الظنيات المختلف فيها، والذي أضاع الأمة هو إضاعتها للقطعيات، والمعركة بين دعاة الإسلام اليوم وبين دعاة العلمانية، إنما تدور حول القطعيات، قطعيات العقيدة، وقطعيات الشريعة، وقطعيات السلوك [٤].

فهذه القطعيات هي التي يجب أن تكون أساس التفقيه والتثقيف، وأساس الدعوة والإعلام، وأساس التربية والتعليم، وأساس الوجود الإسلامي كله.

وإن من أخطر الأشياء على الدعوة الإسلامية وعلى العمل الإسلامي: جر الناس باستمرار إلى الأمور الخلافية التي لا ينتهي الخلاف فيها، وإدارة الملاحم الساخنة حولها، وتصنيف الناس على أساس مواقفهم منها، وتحديد الولاء لهم، أو البراءة منهم، بناء على ذلك.

وبين د/ القرضاوي أنه ليس معنى ذلك عدم الكلام في أي أمر خلافي قط، وألا نرجح رأيا على رأي في القضايا: عقيدية كانت أو فقهية أو سلوكية، إذ هذا مستحيل، فعمل العلماء هو

---

(١) "فقه الأولويات، دراسة في الضوابط"، مرجع سابق، ص١٦٨.

(٢) د/ القرضاوي، "فتاوى معاصرة"، دار القلم، ط٣، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، الكويت، ص٢٣٧.

(٣) الإمام السيوطي، "الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية "،ط/ بيروت، دار الكتب العلمية، ص١٣٦.

(٤) د/ يوسف القرضاوي، "في فقه الأولويات، دراسة جديدة في القرآن والسنة"، ص٦٦ ،٦٧، مرجع سابق.

التصحيح والتضعيف، والترجيح والاختيار .وإنما الذي يجب إنكاره هو أن يكون عنايتنا بالمختلف فيه أكثر من عنايتنا بالمتفق عليه،وأن نهتم بالظني،في حين أعرض الناس عن القطعي!![1].

ومن الجهل والخطر أن نعرض على الناس القضايا المختلفة فيها اختلافا كبيرا، على أنها قضايا مسلمة لا نزاع فيها ولا خلاف عليها، متجاهلين رأي الآخرين، الذي لهم وجهتهم ولهم أدلتهم، مهما يكن رأينا نحن فيها، وعدم اعتبارنا لها [2].

إن من الضروري تمييز الثوابت من المتغيرات، والقطعيات من الظنيات، في ذلك كله، حتى لا نتجاوز محكما مقطوعا به، تحت دعوى التجديد أو الإحياء، أو تتهارج صفوفنا، بسبب الخلاف في ظني متشابه، تحت دعوى السلفية، والتمسك بالأصول، والمجافاة عن أهل البدع، وحتى يتاح للعمل الإسلامي أن يجمع كلمته حول الأصول الثابتة من الكتاب والسنة والإجماع، ويتغافر فيما وراء ذلك من مجاري الاجتهاد ومسائل النظر [3].

ومما يعين على الاجتماع والتآلف، ويبعد عن الفرقة والاختلاف المذموم، التركيز على اتباع المحكمات، وعدم الركض وراء المتشابهات.

إن المحكم هو أم الوحي، وصلب الكتاب، وأساس التكاليف، لذا يجب اتجاه العزائم إلى المحكم واتخاذه الأصل والقاعدة في التفكير والسلوك، تعمل به، وتقف نشاطها عليه، وإذا تركت المحكمات فتح باب المراء والاختصام، لاسيما في المسائل الدقيقة المحيرة.

أما المتشابه فهو محدود النطاق، والانشغال به عوج في الفكر، وزيغ في القلب [4] وقد اشتد نكير النبي ﷺ على من يضرب القرآن بعضه ببعض، ولا يرد متشابهه إلى محكمه، فقد ورد عن ابن عمر أنه قال: خرج رسول الله . ﷺ . على أصحابه، وهم يختصمون في القدر، فكأنما يُفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: "بِهَذَا أُمِرْتُمْ، أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ، تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، بِهَذَا هَلَكَتِ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ"(٥)، إن رد المتشابهات إلى المحكمات البينات يحسم النزاع، ويوفر الوقت والجهد، وصدق الغزالي حين قال عن المتشابه: « حسبنا أن نمر به مرور الكرام، ولا نستقصي،

---

(١) "في فقه الأولويات"، مرجع سابق، ص٦٧، ٦٨. و "الاجتهاد المقاصدي"، جـ٢، ص٨٧، ٨٨، ٨٩، مرجع سابق.

(٢) "في فقه الأولويات"، د/ يوسف القرضاوي، ص ٦٨، مرجع سابق.

(٣) "الثوابت والمتغيرات"، د/صلاح الصاوي، مرجع سابق، ص٥٠.

(٤) "الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم"، ص١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، مرجع سابق. و "مشكلات في طريق الحياة الإسلامية"، مرجع سابق، ص١٢٠.

(٥)سنن ابن ماجه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ، بَابٌ فِي الْقَدَرِ، (١ / ٣٣)، رقم: ٨٥، قال الألباني: حسن صحيح، انظر: صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، ج١، ص١٥٧.

ولا نتكلف، فإن طول الوقوف عنده لا يفيد أولاً، ثم إنه يكون على حساب المحكم، سنقصر فيه بعدما بددنا الوقت في غيره »[١].

لقد ضاعت الأمة بين الردود والمناقشات،والتشبيه والتأويل والتعطيل والتآكل، والتشرذم[٢]، وقد صور الإمام الذهبي رحمه الله ذلك بقوله: « ولا ريب أن بعض علماء النظر بالغوا في النفي والرد والتأويل، والتحريف، والتنزيه – في زعمهم –، حتى وقعوا في بدعة، أو في نعت الباري بنعوت المعدوم،.... كما أن جماعة من علماء الأثر بالغوا في الإثبات، وقبول الضعيف، والمنكر أحيانا...، وحصل الشغب ووقعت البغضاء، وبدع هذا، وكفر هذا، ونعوذ بالله من المراء في الدين، وأن نكفر مسلما موحدا بلازم قوله، وهو يفر من ذلك اللازم، وينزه ويعظم الرب . جل وعلا . ...

لقد أفرط بعضهم في نفي التشبيه حتى قال: إنه . تعالى . ليس بشيء، وأفرط بعضهم في معنى الإثبات، حتى جعل الخالق مثل خلقه....، نعوذ بالله من إنكار أحاديث الصفات، فما أولها السلف في خير القرون، ولا حرفوا ألفاظها عن مواضعها، بل آمنوا بها وأقروها كما جاءت، وفوضوا علم ذلك إلى الله ورسوله . ﷺ .، فكان إيمان الأمة وعطاؤها أقوى وأنفع من إيمان المتفلسفة وعلماء الكلام، وآيات الصفات وأحاديثها، لم يتعرض السلف لتأويلها أصلا، وهي أم الدين، ولو كان تأويلها سائغا أو حتميا لبادروا إليه، فعلم قطعا أن قراءتها وإقرارها، على ما جاءت به هو الحق، لا تفسير لها غير ذلك، فنؤمن بذلك، ونسكت إقتداء بالسلف [٣].

فالسلف والخلف جميعا يسبحون بحمد ربهم، ويقدسون له، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه، إنهم . جميعاً . يؤمنون بوجوده . تعالى .، وأنه الحي القيوم، وأنه ليس كمثله شيء، وأن ما ينسبه إليه اليهود والنصارى من تجسد، وتعدد، أو مظاهر بشرية خطأ محض، وعبارات السلف والخلف تتجه كلها إلى تلك الغاية [٤].

إن اتباع المتشابهات من النصوص، وترك المحكمات البينات، لا يصدر من راسخ في العلم، إنما هو شأن الذين في قلوبهم زيغ، ژهههےےۓۓژ [آل عمران: ٧]، ونعني بالمتشابه: ما كان محتمل المعنى، وغير منضبط المدلول، أما المحكم، فهو البين المعنى، الواضح الدلالة، المحدد

---

(١) "مشكلات في طريق الحياة الإسلامية"، ص١٢٠، مرجع سابق. و د/عابد محمد السفياني، "المحكمات في الشريعة الإسلامية"، دار ابن الجوزي، ط١، ١٩٩٩م.

(٢) ا/ عمر عبيد حسنة، في تقديمه لكتاب "التوحيد والوساطة في التربية الدعوية"، للأستاذ/ فريد الأنصاري، كتاب الأمة، عدد ٤٨، رجب ١٤١٦هـ، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بقطر، ص٢٠.

(٣) الإمام الذهبي، "سير أعلام النبلاء"، جـ١٠، ص٥٠٦، مؤسسة الرسالة، د.ت.

(٤) "مشكلات في طريق الحياة الإسلامية"، مرجع سابق، ص١٢٠، ١٢١-١٣٠، واستعراض للقضية.

المفهوم، إن ترك المحكمات البينات، يثمر سطحية في الفهم، وتسرعا في الحكم، وخطف الأحكام من النصوص خطفا، دون تأمل، وأبرز مثال على ذلك الأثر السيئ لاتباع المتشابهات هو طائفة الخوارج . قديما وحديثاً .، التي كفرت من عداها من المسلمين، وقاتلت الخليفة الراشد عليا بن أبي طالب، وقد كانوا جنودا في جيشه، مستندين إلى أفهام غريبة فاسدة [١].

فقد رضي سيدنا علي . ﷺ . عن التحكيم، في نزاعه مع خصومه، حقنًا لدماء المسلمين، ومحافظة على وحدة جيشه، فظهر هؤلاء الحمقى يتهمونه بالخروج من الإسلام، لأنه رضي بتحكيم الرجال في دين الله، ورددوا شعارهم المعروف: لا حكم إلا لله، معتمدين على ظاهر القرآن حيث يقول: ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮌ ﮍ [يوسف: ٤٠]، وقد رد الإمام علي عليهم بكلمة ذكية حكيمة معبرة: كلمة حق، يراد بها باطل.

وقد رد عليهم سيدنا علي بذلك، لأن رد الحكم إلى الله وحده . سواء كان حكما كونيا، أو شرعيا، بمعنى أن التدبير لله والتشريع لله تعالى وحده .، لا يعني إبطال تحكيم البشر في القضايا الجزئية التي يتنازع الناس فيها، مادام تحكيمهم في إطار حكم الله وتشريعه [٢].

ورأينا عبد الله بن عباس . رضي الله عنهما . قد ناقش الخوارج، وحجَّهم وغلبهم ببيانه ما في القرآن من صور التحكيم، فمن ذلك أمر الله التحكيم بين الزوجين، لحل الخلاف والشقاق بينهما، ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮋ [النساء: ٣٥].

ومن ذلك التحكيم في تقدير مثل الصيد، يقتله محرم متعمدا، كما قال تعالى:  [المائدة: ٩٥].

إن من لم يقف طويلا عند الآيات والأحاديث، دارسا وفاحصا، متأملا متفقها، جامعا بين أولها وآخرها، وموفقا بين مثبتها ونافيها، ومقارناً بين خاصها وعامها، أو بين مطلقها ومقيدها، مؤمنا بها كلها، محسناً بها الظن جميعاً، محكمها ومتشابهها، من لم يفعل ذلك، سرعان ما تضيع منه غايته، وتضل راحته، ويخبط خبط عشواء، وهذا هو ما وقع فيه دعاة التكفير حديثا، كما وقع فيه الخوارج قديماً [٣].

---

(١) د/ القرضاوي، "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف"، مرجع سابق، ص٨٦، ٨٧.

(٢) المرجع نفسه، ص٨٧، ٨٨.

(٣) المرجع نفسه، ص٨٨.

وقد قال ابن عمر . رضي الله عنهما . عندما سئل عن الخوارج: « يكفرون المسلمين، ويستحلون دماءهم وأموالهم، وينكحون النساء في عددهن، وتأتيهم المرأة، فينكحها الرجل منهم، ولها زوج، فلا أعلم أحدا أحق بالقتال منهم » [١].

وحذر د/ يوسف القرضاوي من مؤامرة فكرية تعمل على تحويل القطعيات إلى ظنيات، والمحكمات إلى متشابهات، مثل الذين يجادلون في آية تحريم الخمر ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟ [المائدة: ٩٠]، والتشكيك في دلالة كلمة (فاجتنبوه) على التحريم.

ومثلهم الذين يجادلون في تحريم الربا، وتحريم لحم الخنزير، ومثلهم الذي يجادلون في ميراث المرأة، أو في قوامة الرجل الرحيمة على المرأة، والأسرة، ووجوب الحجاب، (بمعنى لبس الخمار، والملابس المحتشمة الساترة)، أو غير ذلك مما ثبت بنصوص قطعية الثبوت والدلالة وانعقد عليها إجماع الأمة، واستقرت عليه فقها وعملا، نظرا وتطبيقا، أربعة عشر قرناً من الزمان[٢].

فهذه الأمور الواضحة البينة من الدين، هي مما يطلق عليه العلماء: ما علم من الدين بالضرورة، أي يعرفه الخاصة والعامة من المسلمين، دون حاجة إلى إقامة دليل عليها، لأن أدلتها متكاثرة ومعروفة، وراسخة في وجدان المسلمين.

وهذه هي التي يحكم على جاحدها بالكفر، وينبغي قبل هذا الحكم أن تزاح عن صاحبها الشبهة، وتقام عليه الحجة، ويقطع عنه العذر، وبعد ذلك يعزل عن جسم الأمة، ويقضى عليه بالانفصال منها.

وهذه القطعيات المحكمات في غاية الأهمية في الدين، فهي التي تجسد الوحدة العقيدية والفكرية والشعورية والعملية للأمة المسلمة، وهي التي يحتكم إليها عند النزاع، ويرجع إليها عند الاختلاف، فإذا أصبحت هي الأخرى مثار نزاع، واختلاف، فإلى أي شيء يرجع الناس؟!! [٣].

إن خصوم القرآن والسنة يدركون أن معركتهم ضد النص القرآني والنبوي محسومة النتائج، لعلمهم أن في الضمير الحي للشعوب المسلمة من معاني الحب والتعظيم والفداء للدين، وقيمه، ما يجعله يرفض هذه المعركة الواضحة ضد النصوص الشرعية، ويحارب القائمين عليها.

لذا احتالوا لهدم النصوص ومفاهيمها المستقرة المقبولة، فبدل مواجهة النص وهدمه مباشرة قاموا بجعل كل الرؤى والمفاهيم المنحرفة داخلة في مفهوم النص، وإضفاء الشرعية عليها، وهذا

---

(١) الإمام الشاطبي، "الاعتصام"، جـ٢، ص١٨٢-١٨٤ دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٢) "في فقه الأولويات"، مرجع سابق، ص٦٦.

(٣) "في فقه الأولويات"، مرجع سابق، ص٦٦، ٦٧. وانظر "المحكمات في الشريعة الإسلامية وأثرها في وحدة الأمة وحفظ المجتمع"، د/ عابد محمد السفيان، مرجع سابق.

أسلوب خطير جدا على المفاهيم والأحكام الشرعية، يوقع التلبيس على كثير من الناس، لظنهم أنها موافقة لشرع الله.

إن تعظيم الشعوب المسلمة للنصوص الشرعية هو من أقوى وسائل الحفاظ على هوية وثقافة هذه المجتمعات، وحين يتمكن هؤلاء المفسدون من ممارسة العبث والتأويل الفاسد للأحكام والمفاهيم الشرعية، فإن هذا بلاء شديد، سيحل بمفاهيم الناس، وقيمهم من حيث لا يشعرون[١].

لذا وجب تكاتف العلماء والمفكرين والدعاة، للكشف هذه الممارسات العبثية، وإزالة الأقنعة التي تتدثر بها، وإيجاب توضيح أن الاستدلال بالنص الشرعي ليس دائما علامة اتباع واستهداء، بل على أيدي هؤلاء المفسدين قد يكون تلبيسا وخداعا، حين يملأون النصوص بمفاهيم وتأويلات منحرفة! [٢].

فبدلاً من معاداة الإسلام وقيمه وأحكامه وأخلاقه، والثورة عليها، اختار هؤلاء أن يتحركوا من داخل دين الله، ويستعملوا مفرداته التي يطمئن إليها المؤمنون، ويبحثوا في تراث الأمة، ويستشهدوا ببعض ما ورد فيه، حتى يلقوا القبول، ويستطيعوا تمرير أفكارهم الفاسدة، التي تهدف في النهاية إلى علمنة الإسلام عند الناس، ويتقبلونه مثل باقي الآراء الاجتهادية، تقبل النقاش فالتبني، أي إفراغه من محتواه، وإزالة صبغته الربانية، وإخراجه من حياة الناس العامة، ليبقى محصورا في أحسن الحالات . في الشعائر التعبدية، ومسائل تغسيل الموتى ودفنهم.

تراهم ينمقون كلامهم بالإشادة بمحاسن الإسلام المتلائمة مع القيم الإنسانية، مثل: العدل، والمساواة والأخوة، والكرامة....، وينتقون آيات وأحاديث يدعمون بها ذلك، لينتقلوا إلى صلب عملهم، وهو تحرير الدين وفكه من أيدي العلماء العارفين به، إنه تصرف في الشريعة بنيات منحرفة، وبغير الأدوات المعتمدة.

ولذا وجهوا سهامهم، ناقدين ساخرين، مع انتقاص، واتهام بالسطحية...، لأبرز وجوه التجديد والاجتهاد عبر تاريخنا، ولم يتركوا للمسلمين مرجعا معتمدا ولا رمزا محترما إلا نالوا منه، ليخلو الجو لمنهجهم الجديد.

إنهم يهدفون إلى هدم المرجعية الإسلامية، ولكن بانتهاج الطرق (العلمية)، وتقمص مظهر الناصح الأمين للتصرف في نصوص الشريعة ومقاصدها، ومصالحها، لتتلاءم مع القيم الغربية!.

---

(١) فهد صالح العجلان، "قصة المعركة، معركة النص"، دراسة بمجلة البيان، عدد٢٦٩، مرجع سابق، ص٢٥٤، ٢٥٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٥٤ .

نراهم يتضايقون من السنة النبوية، فيهملون نصوصها، أو لا يبالون بها كثيرا، أو ينكرون حجيتها أصلاً [١].

وليس في الإسلام عندهم محكمات ولا قطعيات، فجميع النصوص ظنية متشابهة، يجوز الاجتهاد فيها ومعها، وجميع الآراء الجديدة، مهما كانت جرأتها على النصوص مقبولة، إذ عندهم العبرة بروح الإسلام، لا بالنصوص، وروح الإسلام . عندهم . هي المعاني التي يدندنون حولها، من عدل وحرية ومساواة، واعتمادهم الأول والأكبر على رعاية المصلحة، بمفهومهم المنحرف، وباسم المصلحة حولوا الشريعة إلى عجينة طيعة، يصنعون منها كل جديد، يتوافق مع قيم الغرب ومناهجه، فالحجاب ليس فريضة دينية، لكنه عرف قديم، أو لباس طائفي، كما يفتي بذلك البعض في تونس، إرضاءً للحكم المجرم للزى الإسلامي للمرأة.

أما عبارة القرآن الكريم ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ژ، فهي . عندهم . تجاوزها الزمن، والمرأة في ظل التطورات الاقتصادية والاجتماعية الحالية أصبحت متساوية مع الرجل في الدراسة والعمل، فلم تعد آية النساء صالحة لزماننا!، وزواج المسلمة من غير المسلم لا حرج فيه باسم القيم الإنسانية ومواثيق الأمم المتحدة، وتفاهمات قمة بكين والقاهرة، ويرون استبعاد الحدود الشرعية، لأنها مخالفة للمواثيق الدولية، وهمجية كما يعلنون ويبررون!، والربا عندهم من لوازم حركة الاقتصاد .

وبشأن موقفهم من المرأة فهم يرون أن كل أحكام الإسلام المتعلقة بها لا حاجة لها، لمخالفتها لأجواء العصر، ويجب تخليص المرأة منها، لتنشأ امرأة جديدة حرة في جسدها وأذواقها واختياراتها!، فلا قوامة ولا حق للرجل في الانفراد بالطلاق، ولا رأي للولي في الزواج... إلخ.

أما بالنسبة لغير المسلمين فيعمدون إلى إلغاء صريح لكل الأحكام الشرعية، فهدفهم محو الفوارق بين الإيمان والكفر نهائيا، والتميز في الأمور الدينية.

إنهم يريدون إعلاء قاعدة جديدة، هي وحدة الأديان، وعدم الالتفات للانتماء الديني، وبناء صرح الأخوة الإنسانية، التي تعلو على الأديان والشرائع، وبذلك يتحقق تغير المسلم لولائه لله ورسوله والمؤمنين، واعتناق شعيرة الحب لكل الناس، المأخوذة من أدبيات الكنيسة، والتي ليس لها أدنى أثر واقع في الناس عبر القرون، وإلى اليوم، والتي تؤدي حتما إلى القضاء على الحب في

---

(١) عبد العزيز كحيل، "مفهوم التجديد والاجتهاد عند العلمانيين"، دراسة بموقع "الشهاب للإعلام" بالانترنت، وكتاب: د/ أحمد علي طه ريان، "الرد على الفكر العلماني"، من خلال النقض العلمي لكتاب: حسين أحمد أمين، "الاجتهاد حق أم واجب"، ط/ مكتبة الإيمان، القاهرة، ٢٠٠٩م، فكله رد على العلمانيين وبيان لمكرهم وخططهم .

الله، والبغض في الله، وهذا يؤسس لعقيدة جديدة يراد لها أن تحل محل العقيدة الإسلامية، فيمنع بذلك على المسلمين التفاعل مع قضايا إخوانهم في العالم، فلا يحزنون عليهم، ولا يساعدونهم! [١].

أما الجهاد في سبيل الله فإنهم يهدفون إلى محوه من ذاكرة وواقع المسلمين، ويدعون أنه ينمي ثقافة العنف والعدوان، ويدعون إلى بديل آخر سموه الجهاد الأكبر، هو جهاد النفس، أو الجهاد السلمي الذي يعني معاملة المعتدين بالتفاوض والتنازل، كما في قضية فلسطين.

إنهم يعمدون إلى العمل البطئ داخل الإسلام نفسه وباسمه، بزعم حمايته، فيرفع أصحابه شعار الحريات الفردية، لرفض شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما يتسترون وراء حرية الفكر والرأي، لرفض رقابة المؤسسات الدينية العلمية، للإنتاج الفكري والفني، لأن حرية الإبداع شيء مقدس . في نظرهم . لا دخل للدين فيه [٢].

إن الغرب يبحث عن إمكانية بناء خطاب إسلامي جديد، يتقبل القيم الغربية، الليبرالية، خاصة ما يتعلق منها برؤيتهم لحقوق الإنسان وحقوق المرأة، وحقوق الطفل، وحقوق الأقليات، ونموذج الدولة القطرية، يريد الغرب بذلك خطابا مساندا لهيمنته، وقيادته للعالم [٣].

❁ ❁ ❁

(١) المرجع نفسه.

(٢) عبد العزيز كحيل، "مفهوم التجديد والاجتهاد عند العلمانيين"، دراسة قوية بموقع "الشهاب للإعلام" بالانترنت.

(٣) أ/ رفيق حبيب، "الإسلام الجزئي، مشروع القرن الجديد"، دراسة بموقع إسلام أون لاين، برابط "مدارك" بالموقع.

المبحث الخامس: الجمـــع بين الأصالـــة والمعاصـــــرة

إن من الأهمية والضرورة القصوى تحقيق الأصالة والمعاصرة في الدعوة الإسلامية، ونعني بالأصالة: المحافظة على ذاتية الدعوة، باستنادها إلى الأصول والأدلة الشرعية، والتمسك بمبادئها الأساسية، أما المعاصرة فهي: تكافؤ الدعوة مع العصر الذي تعيش فيه، بحيث تعالج واقعه، وتلبي متطلباته [١].

إن الأصالة ليست تحجرا في العقول، أو رفضا للجديد النافع، وليست . أيضاً . ميوعةً في المواقف، ولا ذوبانا في الشخصية، وليست الغاية من الدعوة إرضاء الناس، وتحقيق رغباتهم، وإنما هي هدايتهم ودلالتهم على صراط الله المستقيم التي رسمها ربهم . سبحانه ..

ولكي تتحقق الأصالة والمعاصرة على الوجه الصحيح لابد من مراعاة ضوابط معينة، تتمثل فيما يلي:

أ) المحافظة على الأصول الشرعية محافظة تامة، والتمسك بالسنة النبوية، وسنة الخلفاء الراشدين، والعض عليهما بالنواجذ.

ب) اجتناب البدع المذمومة اجتنابا تاما، والحذر منها كل الحذر، ولا يعني هذا الضابط اجتناب كل جديد، والتمسك بكل قديم، وإنما الأخذ بالصالح والحسن، قديما كان أو حديثا، أو تجنب المسيء والفاسد، دون نظر لقدمه أو حداثته.

ج) التمييز الدقيق بين المناهج الدعوية الثابتة، وبين المناهج والأساليب والوسائل المتطورة، القابلة للتغير.

د) المحافظة على شرعية المناهج والأساليب والوسائل، وتجنب مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة)، لأن للوسائل أحكام المقاصد.

هـ) مراعاة الاختلاف في الأحكام الشرعية، فلا ينزل الأمر المختلف فيه منزلة الأمر المتفق عليه، ولا تلحق المسائل الفرعية بالمسائل الأصلية، ولا الأحكام الظنية بالقطعية....، وهكذا.

و) البعد عن الغلو والتشدد، وتجنب التقصير والتساهل، والتزام الوسط، والاعتدال في التمسك بأحكام الدين .

ز) وجوب الرجوع في حكم المسائل المستجدة إلى أهل العلم والاختصاص، وعدم الجرأة في اتخاذ المواقف، وإصدار الفتوى فيها، فإن إصدار الأحكام الشرعية والفتاوى أمر دقيق خطير [٢].

---

(١) "بصائر دعوية"، ص١٢٧.

(٢) المرجع نفسه، ص١٣٠.

وإن من معاني المعاصرة استخدام الأساليب والوسائل المعاصرة في خدمة الدعوة والدين، وفي مقاومة الفلسفات المادية المناوئة للإسلام...

إن بعض الدعاة لا يملك أية خبرة في إدراك وفهم الأفكار الهدامة التي تستأصل أمة الإسلام، وتجهض حيويتها، فضلا عن امتلاك وسائل مقاومتها [1].

❁ ❁ ❁

(١) "مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي"، مرجع سابق، ص٢٤٢، ٢٤٣.

المبحث السادس:أهميــة فقه الواقع وترتيب الأولويــات

إن الفقيه الحق هو من يزاوج بين الواجب والواقع، ويدرك ببصيرته أبعاد الأمور كلها.

يربط أحكام الله في شرعه، بعضها ببعض، ولا يكتفي بالنظر إلى السطوح، دون الأعماق، إنه يفهم الدين والحياة، يعرف قضايا العصر وما تستحقه.

والداعية الفقيه هو الذي يكون خطابه الدعوي علاجا لقضايا المرحلة، وجوابا لمشكلات العصر الذي يعيشه، والواقع الذي يتلبسه.

وهو الذي يتناسب خطابه مع حال زمانه ومكانه، والنوازل التي تحدث، والقضايا التي تثور وتظهر، فلكل زمان لسان، ولكل مقام مقال، ولكل مصاب جواب.

فالداعية الناجح هو الذي يفقه المرحلة، ويفهم العصر، فيحدد حاجاته، ويقف على سنن التغيير والمدافعة، وهذا أصل معتبر في الشرع، يؤيده تنزل القرآن على حاجات الناس، والمناسبات، ويؤكده تغير الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة، والأحوال، والعوائد، بناء على اعتبار المرحلة والواقع.

إن المرحلة والواقع قد يؤثران على الأحكام، والمواقف والقرارات، والأهداف والاستراتيجيات، وبأثر الواقع قد ينقلب المفضول فاضلا، والفاضل مفضولاً، وقد يصبح الراجح مرجوحا، والمرجوح راجحا، وفي هذا المعنى يقول ابن تيمية: « والمفضول قد يكون أنفع لبعض الناس لمناسبته له، كما قد يكون جنسه في الشرع أفضل في بعض الأمكنة والأزمنة والأحوال، فالمفضول تارة يكون أفضل مطلقا في حق جميع الناس، وقد يكون أفضل لبعض الناس، لأن انتفاعه به أتم»[(١)]، وفي هذا الصدد قال ابن القيم: « لا يتمكن المفتي ولا الحاكم (ولا الداعية)، من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم؛ أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات، حتى يحيط به علما، والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه، أو على لسان رسول الله . ﷺ .، في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر، فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله . ﷺ . ....، ومن تأمل الشريعة وقضايا الصحابة وجدها طافحة بهذا، ومن سلك غير هذا أضاع على الناس حقوقهم....»[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية، جـ٢٢، ص٣٤٨، مرجع سابق.

(٢) ابن القيم، "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، جـ١، ص٨٧، ٨٨، بتصرف.

إن على الداعية أن يرتب الأولويات في دعوته، فلا ينطلق جزافا، أو يلقى دعوته بلا مراعاة للأولى، ولا تقديم للأهم، ولا اعتبار للأصلح، بل عليه البدء بالأهم ثم المهم، وبالأصلح ثم الصالح، وبالأنفع والأجدى ثم النافع [١].

والداعية الحكيم هو الذي يعتني بترتيب أولولياته في خطته الدعوية، ويقدم الأمر الأهم على الأمر المهم، كأن يقدم أمور العقائد على غيرها من أمور العبادات والأخلاق، وأن يقدم الدعوة إلى الفروض والواجبات على الدعوة إلى المندوبات والنوافل...، وأن يدعو إلى اجتناب المحرمات قبل المكروهات، وأن يقدم المصالح العامة على المصالح الخاصة عند التعارض، وأن يهتم بالضروريات قبل الحاجيات، وبالحاجيات قبل التحسينات... وهكذا [٢].

لقد ألح الإمام الشاطبي على ضرورة التمييز بين المطلوبات الشرعية، وعدم التسوية بينها، كلما تحدث عن مرتبة من مراتبها، فقال في شأن المباحات: المباحات من حقيقة استقرارها مباحات أن لا يسوى بينها وبين المندوبات ولا المكروهات [٣].

وفي شأن المكروهات قال: « المكروهات من حقيقة استقرارها مكروهات أن لا يسوى بينها وبين المحرمات، ولا بينها وبين المباحات »[٤]. وفي شأن المندوبات قال: « المندوب حقيقة استقراره مندوبا أن لا يسوى بينه وبين الواجب، لا في القول، ولا في العمل، كما لا يسوى بينهما في الاعتقاد»[٥].

فعلى الداعية المسلم أن يتفطن لهذه المراتب، فيفرق بين الواجب والمندوب، وبين الحرام والمكروه، وبين القطعي والظني وبين الأصل والفرع، وبين ما علم من الدين بالضرورة، وغير الضروري من الدين، إذ لكل رتبته [٦].

إن إغفال هذه المراتب يخل بالأوليات، ويوقع في أغلاط جسيمة وحرج كثير، فضلا عن مخالفته هدى الشارع، بإهمال مفاضلته وترتيبه [٧].

ولا نجاح للدعوة ولا قبول لها عند الله إلا بتحقيق شرطين أساسيين فيها، هما:

١- الإخلاص لله في الدعوة، وتقوى الله فيها.

---

(١) "دعوة الجماهير، مرجع سابق، ص٩٧، ٩٩.

(٢) "بصائر دعوية"، مرجع سابق، ص٦٥.

(٣) "الموافقات"، للإمام الشاطبي، ج٣، ص٣٢٩، مرجع سابق.

(٤) المرجع نفسه، ج٣، ص٣٣١.

(٥) المرجع نفسه، ج٣، ص٣٢١.

(٦) "فقه الأولويات، دراسة في الضوابط"، لمحمد الوكيلي، ص١٧٤.

(٧) د/ أحمد الريسوني، "نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي"، ص١٥٩.

٢- السداد والصواب في منهجها وأسلوبها [١].

إننا نلاحظ إهمال كثير من الدعاة ترتيب الأولويات في عملهم، وضعف الموازنات بين الواجبات والإمكانات، وبين المفاسد والمصالح، مما جعل بعضهم يقدم الهام على المهم، بل الأمر التحسيني التكميلي، على الأمر الضروري والحاجي، كما جعل بعضهم ينطلق من خلال رؤيته للواجب المطلوب، دون نظر إلى الإمكانات والقدرات المطلوبة لتنفيذ الواجبات الكثيرة المتراكمة، مما أدى إلى تعثر الخطوات، وضياع القدرات، وتراكم الواجبات!، ونفاذ الإحباط واليأس إلى قلوب البعض، وهذا يمكن للأعداء ثغرة واسعة يلجون من خلالها، يمكنون فيها لباطلهم، ويضعفون أمل المسلمين في الوصول إلى أهدافهم.

من هنا لابد للدعوة البصيرة من تحديد الأهداف، وترتيب الأوليات، في ضوء الموازنة بين الإمكانات والواجبات، حتى ترشد الخطوات، ولا تتكرر المآسي والآلام [٢].

لقد بلغ الخطاب القرآني وبيانه في السنة، من استيعاب الواقع، والإحاطة به، والتوفر على معالجة قضاياه ومشكلاته، وكيفية التعامل مع الحالة التي هو عليها، والبدء مع الإنسان، من النقطة أو الحالة آفاقا وأبعادا،معلمة ومثيرة للاقتداء والاتباع، والاغتراف الثقافي والإعلامي [٣].

وجاءت السنة النبوية، الشارحة والمبينة للقرآن، منزلة لهذا الخطاب على حياة البشر المتنوعة بأوعية متعددة، وكانت تراعى حالات المخاطبين وحاجاتهم ومشكلاتهم، واستطاعتهم وأقدار عقولهم، فقد أجاب الرسول . ﷺ . أجوبة مختلفة حول أفضل الأعمال، بحسب أحوال الناس، فقد أجاب كل سائل بما رآه في حقه أفضل، بحسب حاجته وظرفه.

وقد أوصى النبي . ﷺ . كل واحد، بغير ما أوصى به الآخر، لاختلاف أحوال وحاجات من سألوه الوصية.

وهكذا، فلكل مقام مقال، ولكل حالة علاج، ولكل داء دواء.... إلخ [٤].

حق على الداعية أن يقرأ واقعه، فيعرف ماذا يدور في البلد، وماذا يقال؟ وما هي القضايا المطروحة؟، ويتعرف حتى على الباعة، وعلى أصناف التجار، وطبقات الناس، وأن يلوح بطرفه في الأماكن ومجامع الناس وأسواقهم، وجامعاتهم وأنديتهم، حتى يكون صاحب خلفية قوية، تمكنه من إدراك واقعه.

---

(١) "بصائر دعوية"، مرجع سابق، ص٨.

(٢) المرجع نفسه، ص٩٩، ١٠٠.

(٣) "من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق"، مرجع سابق، ص٢٨، ٢٩.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٦، ٢٨، ٢٩.

لذا جعل أهل العلم من لوازم الداعية إذا أتى إلى بلد أن يقرأ تاريخ هذا البلد، وحاله والقوى المؤثرة فيه، وكيف ينفذ بدعوته إلى القلوب.

وكان بعض العلماء إذا سافروا إلى الخارج يأخذون مذكرات عن البلد وتاريخه،وجغرافيته، ومتنزهاته، ويتعرفون على طبيعة أهله، وكيف يعيشون،وماذا يحبون، وماذا يكرهون؟، ويتعرفون على كيفية التربية والتعليم، وعاداتهم.... إلخ، حتى يدعوا إلى الله عن بصيرة [١].

إن القرآن الكريم مصدر الخطاب الإسلامي الإعلامي، والدعوي، والثقافي، والعقيدي، والسياسي، والفكري، والذي تشكلت من خلاله خير أمة أخرجت للناس، أخذ بالاعتبار المخاطبين، ومستوياتهم، وخلفياتهم الدينية والثقافية، ودرجات إيمانهم، وفروقهم الفردية، فراعى التنوع في الخطاب، والتدرج في أخذ الناس بأحكام الدين شيئاً فشيئاً.

فكان خطاب القرآن في مكة المكرمة غير خطابه في المدينة المنورة، من حيث النداء والمضمون، والفاصلة القرآنية، والإيقاع والمثل والشاهد، والنموذج، وبيان أصل النشأة، والحديث عن المصير... إلخ.

وكان الخطاب للمؤمنين، غير الخطاب للكافرين،...، وكان الخطاب لأهل الكتاب ومحاجتهم وتحذيرهم من كتمان الحق، غير الخطاب للكفار، والخطاب للمنافقين غير الخطاب للكافرين.

وكان خطاب الجهاد والمعركة والتحريض على القتال، وطلب الشدة والغلظة على الكفار، والتحذير من التولي يوم الزحف، غير خطاب السلم والتعاهد والتصالح، والتعامل مع الأسرى، ومخاطبتهم.

وكانت مواصفات الخطاب في مرحلة الدعوة وحالة الدعوة غير مواصفاته في مرحلة الدولة، وبيان أعباء الاستخلاف والعمران، ومسؤولية النكول عن أداء الأمانة. وكانت مواصفات الخطاب التربوي غير مواصفات الخطاب التشريعي وتقرير الأحكام....، ومواصفات الخطاب في مجال العقيدة وتحرير وحسم مفاهيم الولاء والبراء، غير مواصفات الخطاب في مجال البناء الاجتماعي أو إقامة وبناء العلاقات الاجتماعية على البر والقسط [٢].

وكانت مواصفات وأهداف الخطاب في حالة الاستضعاف، غير مواصفات الخطاب في حالات التمكين.

وكان القرآن في ذلك كله معلما، ومنارة اتباع واقتداء، لأنها حالات متعددة، ومتنوعة، وقد تكون متجاورة، تتعرض لها الحياة البشرية، ويتعرض لمعالجتها الدعاة إلى قيام الساعة [٣].

---

(١) "٣٠ وقفة في فن الدعوة"، مرجع سابق، ص٢٠.

(٢) عمر عبيد حسنة، في مقدمة لكتاب "من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق"، لعبد الله الزبير عبد الرحمن، مرجع سابق، ص٢٢، ٢٣.

(٣) المرجع سابق، ص٢٤.

ففهم الواقع يعد شطرا ثانيًا لمنظومة الأحكام، إضافة إلى النصوص التي لم تأت إلا لتخاطب الواقع، وتتنزل فيه على أحسن حال، وأفضل منهج، وأقوم سبيل.

لقد جدت للوجود طائفة عظمى من الحوادث والنوازل في مجالات مختلفة، وبخلفيات متنازعة، وبرزت على ساحة الفكر والسياسة، والاقتصاد والطب والأخلاق مشكلات دقيقة، لا يمكن الحسم فيها من الوجهة الشرعية إلا بمعرفة أحوالها ودقائقها، وخلفياتها ودوافعها، مما يجلي حقيقتها، ويحرر طبيعتها، ويساعد على إدراجها ضمن أصولها، وإلحاقها بنظائرها، وتأطيرها في كلياتها وأجناسها [١].

فلابد من ترتيب عقل الداعية المسلم، حتى يتمكن من تحقيق النظرة الكلية للأشياء، ويقدر على تصنيف المشكلات، والقراءة الصحيحة للظروف والتعامل معها، وحسن الفقه لمعركة الإسلام وخصومه، ووضع سلم منضبط لقضية الأولويات، يوفر الجهود والطاقات، ويوجهها إلى المجالات المجدية [٢].

إن من الضروري ربط النتائج بالمقدمات، والجزئيات بالكليات، والفروع بالأصول، مع تجاوز الإغراق في الجزئيات، الذي قد يؤدي إلى عدم القدرة على رؤية معالم الصورة في شكلها الكامل [٣].

ومن الضروري إعادة ترتيب أولويات العقل المسلم، بحيث تنال اهتمامه الأساسي القضايا الجوهرية، وليس القضايا الثانوية، أو الهامشية.

وقد كان الشيخ الغزالي ينبه دائماً . إلى هذا الخطأ في فقه الأولويات، بخاصة لدى شرائح الشباب، ومما قاله: «قد أوجع فؤادي أن بعض الشباب كان يهتم بهذه المسألة: هل لمس المرأة ينقض الوضوء، أم لا؟، وكان اهتمامه أحد وأشد من إجراء انتخابات حرة، أم مزورة!!، إن عدم سيطرة الحقائق الكبيرة على الوعي الإنساني لا يمكن التغاضي عنه»[٤].

إن على الدعاة مواجهة الذين يقفون بالدين عند الشكليات، وتشغلهم المعارك الفرعية عن جوهر الدين وحقيقته [٥].

---

(١) "الاجتهاد المقاصدي – حجيته، ضوابطه، مجالاته"، جـ٢، ص٦٧، مرجع سابق.

(٢) أ/ عمر عبيد حسنة، في تقديمه لكتاب الأمة، رقم ١ "مشكلات في طريق الحياة الإسلامية"، للشيخ الغزالي، جمادى الآخرة ١٤٠٢هـ، ص٢٨.

(٣) محمد يونس، "تجديد الفكر الإسلامي، على مشارف قرن جديد، قراءة في تجربة الشيخ الغزالي"، ط١، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، ص٦٩.

(٤) الشيخ محمد الغزالي، "السنة النبوية، بين أهل الفقه وأهل الحديث"، ص٩.

(٥) "تجديد الفكر الإسلامي"، مرجع سابق، ص٦٩.

لقد انفرط عقد شعب الإيمان، فاحتلت الشعب المتأخرة المقاعد الأولى، وتأخرت الشعب الأولى، بل أخذت سنن ونوافل وفروع – تحتمل الرأي – حجما لم تأخذه فروض عين كفاية، وشعب إيمان لا اختلاف حولها [١].

لقد قرر الفقهاء أن الله لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة، سواء كانت فريضة عينية أو كفائية!.

وإذا كان التنفل يعجز عن إحسان واجب فلا مكان له، مثل صوم مدرس نافلة، فأعجزه ذلك عن تصحيح أوراق إجابة بدقة، أو شرح الدروس بإتقان، فلا ينبغي له أن يصوم!.

وكذلك الطبيب الذي يعجزه صومه المندوب عن إجادة فحص المريض، أو تصوير الوضع المصاب...، أو كتابة الدواء اللازم.... !! [٢].

إن هناك أمثلةً عديدةً لظاهرة الاشتغال بالمستحب على حساب الواجب، منها:

١- حرص كثير من الناس على النوافل، وإهماله آفات لسانه، التي تشمل عدة كبائر، من غيبة وافتراء وكذب ونميمة... إلخ.

٢- كثير من الناس لا تفوتهم نوافل الصلاة، ولكنهم لا يحسنون قراءة الفاتحة التي هي ركن من أركان الصلاة.

٣- بعضهم يهتم بالأذكار والتسابيح والأوراد، ولا يولون اهتماما للفرائض الاجتماعية، مثل: إنكار المنكر ومقاومة الظلم الاجتماعي والسياسي.

٤- بعض الوعاظ يكثرون في دروسهم ترغيب الناس في الإكثار من النوافل، ويغفل الكلام عن منكرات، عديدة تعم البلاد، وعن أصول يجب رعايتها [٣].

إن العبادات العينية أو الكفائية وسائل لتزكية الفرد، ورفعة المجتمع، والمؤمن الحصيف يقبل على ما يلائمه من هذه وتلك، دون محاولة للفرار من واجب يتعين عليه.

فالغني عبادته الأولى: البذل وإسعاف المحتاجين، ولا يصلح له الصيام وقيام الليل، إذا كان الصيام والقيام مهربًا له من الإنفاق في سبيل الله!.

والقارئ الفقيه عبادته الأولى: النصح، وتعليم الخاصة والعامة، ولا يصلح له الاعتكاف، والخروج بالصمت عن (لا) و (نعم)، في مواطن الأمر والنهي، وشيوع الفتن! [٤].

---

(١) د/ عبد الحليم عويس، "النهضة الإسلامية بين مسؤولية القيادة، وواجبات الأمة"، مرجع سابق، ص١٦.

(٢) "مشكلات في طريق الحياة الإسلامية"، ص٣٢، ٣٣، مرجع سابق.

(٣) "فقه الأولويات، دراسة في الضوابط"، ص٢٥٠، ٢٥١، مرجع سابق.

(٤) المرجع نفسه، ص٣٣.

إن الواجب باعتبار المكلفين به ينقسم إلى قسمين:

(أ) واجب عيني، طلبه الشرع من كل فرد.

(ب) واجب كفائي، طلب الشارع فعله من مجموع المكلفين، بحيث إذا قام به البعض قياما كافيا سقط التكليف عن الآخرين، وإذا لم يقم به أحد أثم الجميع.

ومن العبادات الكفائية: الصلاة على الجنازة، وإنقاذ الغريق، والجهاد، وتعلم العلوم النافعة... إلخ [١].

فعلى الدعاة تجديد خطبهم وتنويع قضاياهم، وربطها بواقع الناس، ومقاصد الشريعة، والجمع بين الخطاب الوعظي المباشر، والخطاب الاجتماعي والواقعي، الذي يعالج قضايا الناس الحقيقية، ولا يبعدهم عن مشاكلهم وأزماتهم. [٢]

وعملية إقناع الناس بالإسلام، واجتذابهم إليه، واستنفاذهم من براثن الأفكار والتصورات الفاسدة التي يحملونها، واقتحام عقولهم ونفوسهم، وحل مشاكلهم المتعددة، تحتاج كلها إلى ثقافة وخبرة ومهارة.

إن الداعية يواجه أنواعا شتى من الخصوم والأعداء، بأسلحة شتى وأساليب شتى، كما يواجه مرضى بعلل شتى، ومعقدين من مشكلات شتى.

لذا يلزمه . بعد الإيمان القوي بالله، والاتكال عليه . قدر كبير من العلم والدراية، والفكر والخبرة، لأنها – جميعا – تعينه على ملامسة الداء بالدواء اللازم [٣].

فأمام الداعية المصلح ساحتان يعمل فيهما: ساحة مهتدية ويؤمن أصحابها بالإسلام عقيدة وشريعة، ويلتزمون به سلوكاً.

وساحة بعيدة عن الإسلام: إما أنها لم تسمع به أحدا، كما هو مجتمعات عديدة خارج بلاد العالم الإسلامي،أو سمعت به،لكن ملئت أذهانها بصورة مشوهة عنه،وصورة سيئة عن المسلمين!.

لذا، لابد من صياغة خطابين متنوعين، خطاب يتوجه إلى الساحة الإسلامية، وخطاب يتوجه إلى الساحة غير المسلمة أو المشوشة.

ولا يجوز أن يكون بين الخطابين أي نوع من التناقض، وإنما هما أشبه بدائرتين، متداخلتين، تتطابقان في أمور، وتتنوعان في أمور أخرى.

---

(١) انظر هذا التقسيم في "أصول الفقه"، للشيخ/ عبد الوهاب خلاف، دار القلم للطباعة والنشر، ط١٠، ص١٠٨. و "الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية" للسيوطي ، مرجع سابق، ص٤١٠.

(٢) السيد الشامي، "الإعلام الدعوي، إطلالة أولية وأفكار للتطوير"، مجلة الرسالة، العدد ٣٦، رجب ١٤٣١هـ، يونيو ٢٠١٠م، ص١٥.

(٣) أ/فتحي يكن، "الاستيعاب في حياة الدعوة والدعاة"، ص٢٠، ٢١، ٢٢.

وبشأن الخطاب في الساحة الإسلامية، فإنه يجب التركيز على ضرورة الالتزام، والتمسك بتعاليم الإسلام، وعلى ضرورة المبادرة إلى الإحسان ونفع الناس، والتحلي بالإيجابية، والقدرة على مراجعة الأخطاء، وتصحيح المسيرة الدعوية، وإتقان وتجويد التخصصات والأعمال الدعوية كافة.... [١].

أما بشأن الخطاب في الساحة غير الإسلامية، فيجب التركيز فيها على بيان محاسن الإسلام، ورد الشبه التي تثار حوله، إلى جانب بيان عالمية الإسلام، وتشجيعه على الاجتهاد، وضمان حقوق الإنسان، ومساعدة الضعيف، وعلى ضرورة التعاون الإنساني في سبيل تكوني إطار عام، يحاصر الشر والفساد، مما اتفقت الشرائع السماوية على تجريمه، ويؤدي في الوقت نفسه إلى تعاون أممي، في بناء قيم مشتركة، تكون الأساس، لتحقيق الحد الأدنى من التفاهم العالمي....

وينبغي أن تكون العناصر العقلانية في الخطاب الموجه للساحة غير المسلمة أقوى [٢].

❁ ❁ ❁

(١) د/عبد الكريم بكار، "مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي"، ص٣٠٣، مرجع سابق.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٠٣، ٣٠٤.

الفصل الثانـــي
إطلالة على أصول تتعلق بفقه الدعوة إلى الله

المبحث الأول: أهمية وضوح الدعوة وتكوين الرأي العام .

المبحث الثاني: التدرج في الدعوة والإصلاح.

المبحث الثالث: تنويع مناهج وأساليب الدعوة، والعناية بالحوار.

المبحث الرابع:الإلمام بالسنن الاجتماعية،والإفادة منها في الدعوة والتربية.

المبحث الخامس: الوسطية وترك النزاع في الفروع.

المبحث السادس: العناية بإقامة فروض الكفاية في الأمة.

المبحث السابع: التركيز على بيان مقاصد الشريعة، وإبراز محاسن الإسلام.

المبحث الثامن: حسن عرض حقائق الإسلام وإبراز محاسنه.

المبحث التاسع: فقه مراتب الحكام وأدب الاختلاف .

المبحث الأول:أهميـــة وضوح الدعوة وتكويـــن الرأي العـــام

مخاطبة الناس بما لا يعرفون فتنة لهم وفساد عريض،وهو من أقوى أسباب التكذيب [١]، وفي ذلك قال سيدنا علي . ﷺ .: « حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذَّب الله ورسوله» [٢].

ولذلك جاء أمر الله سبحانه لرسوله، ولكل مقتد به: ژچچچچژ [الأعراف: ١٩٩]، والعرف هو "ما استقرت النفوس عليه، بشهادة العقول، وتلقته الطبائع بالقبول"[٣]، فالأمر بالعرف، يعني العناية بمحتوى الخطاب، بحيث يكون واضحا، لا يحتاج إلى مناقشة وجدال، بل تطلبه النفوس المستقيمة، وحين تعتاد النفس هذا المعروف المحبوب للنفس يسلس قيادها بعد ذلك، فتتطوع لألوان من الخير دون تكليف.

وهذا من الحكمة والسداد في رياضة النفوس، التي لا تحب التعقيد والمشقة والشدة، في أول معرفتها ومطالبتها بالتكليف الشرعي المطلوب منها.

إن الرياضة الحكيمة للنفس توجب أخذها في أول الطريق بالميسور المعروف من التكاليف الشرعية، ليسلس قيادها، ثم تعتاد هي بذاتها النهوض بما فوق ذلك، في يسر وإقبال وطواعية وحب [٤].

فمخاطبة الناس يجب أن تكون بمعان واضحة يفهمونها، ويستوعبون مضامينها، امتثالا لقول الله تعالى: ژپپپپپژ [الإسراء: ٢٨]. وصدق ابن مسعود حين قال: « ما أنت بمحدث قوما حديثا، لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » [٥]، وقد أثنى الإمام الشافعي، وامتدح أستاذه الإمام محمد بن الحسن الشيباني، بأنه كان يكلمهم على قدر عقولهم ليفهموا، وقال في ذلك: "لو أن محمد بن الحسن كان يكلمنا على قدر عقوله ما فهمنا، ولكنه كان يكلمنا على قدر عقولنا فنفهمه" [٦].

ولذا وجب على الداعية تحديد المعاني التي يعرضها على المدعو، إذ ليست كل مفردات الإسلام يفهمها، ولا هي على درجة واحدة من الأهمية، وبعضها لو ذكرت في موضع معين أو وقت معين لأدت إلى نتيجة عكسية، فيمتنع الداعية عن ذكرها سداً للذريعة [٧] .

---

(١) دعوة الجماهير مكونات الخطاب، ووسائل التسديد"، ص ١٠٦، ١٠٧.

(٢)صحيح البخاري، كتاب العلم، بَابُ مَنْ خَصَّ بِالعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا، (١ / ٣٧)، حديث رقم (١٢٧).

(٣) الشريف الجرجاني، "التعريفات"، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، ص ١٩٣.

(٤) أ/ سيد قطب، "في ظلال القرآن"، جـ٣، ص١٤١٩، مرجع سابق.

(٥) أخرجه مسلم، في المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، رقمه ١٤، وانظر شرح النووي، جـ١، ص٣٥.

(٦) ابن مفلح، «الآداب الشرعية، والمنح المرعية»، جـ٢ ، ص ١٦٥، د/ ن ت.

(٧) أ/ محمد أحمد الراشد، "العمل مع المدعوين فهم ومسئولية"، مجلة الرسالة، عدد أغسطس ٢٠١١م، ص ٨، ٩ .

وقد وجدنا أعداء أمتنا متنبهين إلى أهمية الاستيلاء على الرأي العام وتوجيهه، لترسيخ ما يحبون ويبتغون، ولصد وتسفيه ما لا يبتغون ولا يريدون، واستطاعوا بذلك اختزال الأزمنة الممتدة في أوقات قصيرة، وتوفير الجهود المضنية في قليل منها مؤثر.

لذا وجدنا القرآن يعمد إلى تكوين رأي عام فاضل، يقلل في المجتمع الشرور، ويفشي الإحساس بالخير وإحسان المعاملة، فالقرآن اتخذ الأساليب الرشيدة لتكوين الرأي العام الفاضل، ومن أهمها ما يلي:

أ – الحث على النفور والاستهجان والإنكار للأخلاق السيئة التي لا تناسب ولا توافق مجتمع المسلمين، مع التكرار والإرشاد الدائم إلى سلوك الصواب والخلق الجميل، فأرشد مجتمع المؤمنين إلى عدم تصديق الإشاعات عن إخوانهم، وحرمة تناقلها، أو اتخاذها مادة أنس، تؤكل بها الأعراض، بل وجب إسكات الألسن الحداد، وفي ذلك جاء قول الله تعالى: ﮋ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﮊ [سورة النور: ١٦].

. بين القرآن أن الماشين في الناس بالتشويه والقذف، والإفك عصبة آثمة باغية يجب رفضها، ورد نبأهم وأخبارهم، وعدم تصديقها فقال تعالى: ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﮊ [الحجرات: ٦] [1].

. حرم الإسلام، ونهى عن إشاعة وإذاعة الفاحشة في مجتمع المؤمنين، وتوعد الله من يفعل ذلك فقال تعالى: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ □□□□□□□□□□ ﮊ [النور: ١٩].

لكن أعداءنا سعوا . ويسعون . إلى نشر وترديد وتهويل وإثارة أخبار الفواحش، في كل وسائل الصحافة والإعلام، من صحف[2] وقنوات وإذاعات، حتى يصبح أمر الفواحش عاديا مقبولا، بطول الطرق والدق والتشويق.... إلخ .

لقد حرم الإسلام السخرية ولمز الأنفس، والتنابذ بالألقاب، وإساءة الظن والتجسس، والغيبة، وهتك الأعراض، وغير ذلك من أمراض المجتمعات وأخلاقها الرزيلات، ودعا إلى ما هو أفضل منها، وذم فاعلي هذه الأخلاق السيئة، ووصفه بالظلم، وطلب منه التوبة، بعدما يناديه في كل آية، بأسرف الألقاب، وأحسن الصفات – صفة الإيمان – ليريه أنه لا يزال في المؤمنين، لا يليق به التردي إلى تلك الأحوال والصفات [3]، وفي ذلك قال تعالى: ﮋ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □□□□□□□□□□□□□□□□ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﮊ [الحجرات: ١١، ١٢].... إلخ.

---

(١) "دعوة الجماهير....." ص ١٣٩–١٤٤.

(٢) مثل جريدة "أخبار الحوادث"، و "أخبار النجوم" ..

(٣) المرجع نفسه، ص ١٤٥ . ١٤٧ .

إن من الواجب نشر الدعوة في كل ناد وساحة وميدان، وعند كل تجمع، والتقاء، يذكر الدعاة فيها ويعظون ويرشدون، ويبينون، بخطاب مقنع للعقول، يجلي عمى العيون عن البينات والهدى فتبصر صراط الله المستقيم، ويحيى القلوب، ويقدح الأذهان.

لذا وجب استقطاب الجماهير إلى الالتزام بالحق، ليكونوا نصراء للدعوة، وتبقى بهم بيضة الحق محمية نقية، لا يمسها مغرض، مرتاب بسوء.

والخطاب الدعوي الجماهيري الناجح له مواصفات ومكونات معينة، ليؤدي دوره، ويثمر أثره، ومن أهم هذه المكونات ما يلي:

(١) قرآنيـــة الخطـــاب:

هذه القرآنية تعني انطلاق الخطاب من منطلق قرآني، وعرض القضايا عرض القرآن، وأن يهتم بما اهتم به القرآن، ويعبر بذات تعبير القرآن، وقرآنية الخطاب تكون من جهات شتى: من جهة القضايا والموضوعات، ومن جهة الشكل والصياغة، ومن جهة الترتيب والتنسيق، ومن جهة العرض والأداء.

أولاً: من جهـــة القضايا والموضوعـــات:

أ: ينبغي تصدر القضايا الجماعية في الطرح على الجماهير،لا القضايا الفردية التي تهم الأفراد [١].

ب: القضايا الاجتماعية العامة الغائبة: فالمجتمع يحتاج إلى أن يحقق العدل في علاقاته وصلاته وحقوقه، وإشاعة آداب الإسلام وتعاليمه في نواحي الحياة كلها.

لذا وجدنا القرآن الكريم يفصل في آداب الصلات والزيارات، والالتقاء والفراق، والمؤاكلة والمجالسة، والتآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر، وغير ذلك من القضايا الاجتماعية، التي يمتلئ القرآن بقواعدها وأصولها وأحكامها وتفاصيلها، والتي لا تزال بحاجة إلى أهل التخصص في هذا الجانب من علم الاجتماع [٢].

إن من المهم الاهتداء بهدي القرآن في التعبير والمخاطبة، وفي هذه النقطة ينبغي ما يلي:

أ ــ قرآنية الخطاب في بيان الأحكام:

إننا إذا قرأنا القرآن بتدبر عند مواضع الأحكام، نجده يقدم الحكم الشرعي معللا بالحكمة مصاغا على موعظة، وهذا تنبيه للدعاة ومعلمي الفقه للناس، بأهمية صياغة أحكام الشرع وتبليغها على طريقة القرآن الكريم.

---

(١) د/ عبد الله الزبير عبد الرحمن، "دعوة الجماهير"، مرجع سابق، ص٤٩، ٥١.

(٢)المرجع نفسه، ص٥٤، ٥٥، ٥٦.

نجد ذلك في مواضع الأحكام من الفرائض والأركان، من فرض الصلاة أو الصيام أو الزكاة، أو الحج أو الجهاد، وكذا في الحدود أو القصاص، أو الميراث أو النكاح، وغيرها من مواضع الأحكام.

فمثلاً، فرض الصلاة، يصاغ في موعظة تشوق المكلف إلى التزامه وحب الصلاة، حيث يقول تعالى: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﮊ [طه: ١٤].

ويأمر الله بإقامة الصلاة، ويعلل الأمر بحكمة ظاهرة، مصاغة بموعظة باهرة، فيقول تعالى: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﮊ [العنكبوت: ٤٥]، فنجد أمراً وإرشاداً وتعليلاً، وترغيباً وترهيباً!.

وكذلك في الأمر بفريضة الصيام والزكاة وغيرهما، نجد الحكمة الظاهرة، والموعظة الحسنة والترغيب والتحبيب، والإرشاد. (١)

إن كل الأحكام التي نطق بها القرآن وأرشد إليها ودل عليها، كلها تأتي مقرونة بالحكمة، مصوغة بالموعظة الحسنة المرققة للقلوب، فالقصاص قال في حكمه القرآن: ﮋ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ [البقرة: ١٧٩]، فجمع بين الحكمة التي هي قوله تعالى: ﮋ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﮊ، وبين الموعظة الحسنة التي هي قوله: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﮊ .

ب ـ قرآنية الخطاب في الاصطلاحات:

لابد أن يتعامل دعاتنا ومفكرونا بمصطلحات القرآن، دون سواها، ولابد أن يتحدثوا بلسان القرآن، ويجددوا ويوجهوا خطابهم بلغة القرآن.

واستبدال مصطلحات القرآن بغيرها ـ وإن اتفقت في اللغة وتوافقت ـ لا يعطي المراد، ولا الأبعاد، فمثلا: مصطلح النضال، لا يسد مسد (الجهاد)، ولا يمكن أن يكون مصطلح (الصمود)، بديلا عن (الصبر)، أو (الانتحار)، بديلا عن (الاستشهاد).

إن القرآن هاد لأهل الإيمان، في اللغة والصياغة والتعبير، وهو كاف بعربيته، وشاف، كما قال تعالى: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ [فصلت: ٤٤].

إن القرآن يهدي للتي هي أقوم في كل مجال، والأقوم صياغة خطابنا الدعوي على اصطلاحات القرآن، وتشكيله بشكله.

إن من يهجر لغة القرآن ومصطلحاته، ويختار ألفاظا ومصطلحات أعجمية أو غربية أرادها أعداؤنا بديلا لمعاني القرآن (٢)، كأنه يبحث عن دلالة أخرى أقوى من مدلول القرآن، وعن معاني جديدة لم يجدها في القرآن، وهذا ـ في الحقيقة ـ انحطاط عن الأقدر إلى الأعجز، وعن الأدل إلى الأقل دلالة، وعن الأضبط إلى الأخلط، وعن الجامع المانع إلى غير الجامع، ولا المانع.

---

(١) المرجع نفسه، ص٦٢– ٦٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٦٥ ـ ٦٧ .

إن القرآن لم يكن ليعطي ألفاظا، يصطلح بها على معاني ودلالات معينة، إلا هو يريد تحديد دلالته، وتخصيص ذاك المصطلح بمعاني خاصة، تجمع عناصره، وتمنع خلافها، لغة وتاريخا ومراداً [١].

جـ - شمولية الخطاب الإسلامي:

الخطاب الإسلامي ينبغي أن يكون شاملا، يجمع كل معاني الدين، ويغطي كل جوانبه، إذ الإسلام جاء دعوة أخلاق وسلوك وآداب، كما هو دعوة عبادة وذكر وجهاد، كما أنه دعوة صدق وزهد وتوكل وإخلاص، كما كان دعوة توحيد في الاعتقاد والتعبد، والتوجه، وهو دعوة علم وعمل، ودعوة معاملات مدنية، وعلاقات اجتماعية وسياسية، ودولية، فدعوة الإسلام دعوة إلى كل ما يحيى البشر ويسعدهم [٢] .

فعلى الداعية التركيز على شمول الإسلام ووحدة أجزائه ونظمه، فلا يفرق في دعوته بين عقيدة أو شريعة، أو أخلاق، أو بين العبادات والمعاملات... إلخ؛ لأن الإسلام كل لا يتجزأ، ولا يظهر جماله وكماله إلا بالدعوة إليه كاملا، وإذا قدمنا الإسلام للناس مجزءاً مقطوعا حجبنا الناس عن الإسلام أكثر من أن ندعوهم إليه، ونفرنا أكثر من أن نحبب فيه.

إن على الداعية تبيين كمال الإسلام وشموله أولاً، ولا حرج عليه بعد ذلك من التخصص في الدعوة في جانب من جوانب الإسلام تبعا لاستعدادتهم، وإمكاناتهم وظروفهم، وترك الجوانب الأخرى للمتخصصين فيها والمحسنين لها.

وإذا رأى غيره يدعو إلى جانب غير الجانب الذي يدعو إليه، فيتخصص في غير ما يتخصص هو فيه، فعليه أن يقدر ذلك الداعي، ويعظم ذلك الجانب، ويؤكد أنه جانب من جوانب الإسلام المتعددة الكاملة.

وبعض الدعاة يخطئ حين يسلط الضوء على جانب دون غيره، أو يضخم جزءا منه على حساب جزء آخر، مع أن الجميع دين الله، وجميع الجوانب شرعه تعالى، كما أن من الخطأ تجرأ داعية على الدعوة إلى جميع الجوانب دون أن يتمكن فيها، فيدعو لأمر لا يفهمه، أو يقوم بشأن لا يحسنه!![٣].

فقصر بعض الدعاة أفرادا وجماعات مفهوم الدعوة على عنصر واحد من عناصرها أو أكثر، ودعوتهم إلى العمل به دون غيره، وإنكارهم على غيرهم من الدعاة أن يعملوا بالعناصر الأخرى، حتى

---

(١) "دعوة الجماهير، مكونات الخطاب، ووسائل التسديد"، ص٦٥ . ٦٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ٧٩ ، ٨١ .

(٣) د/ محمد أبو الفتح البيانوني، "بصائر دعوية"، ص٥٥، ٥٦.

أصبحت الدعوة عند بعض الناس تبليغا فقط، أو تعليما، أو سياسة مما أثر في إضعاف الدعوة، وشوه جمالها من جهة، وأوقع بعض الدعاة في النيل من بعضهم بعضا من جهة أخرى [١].

د – الاهتمـــام بأمور المسلمـــين:

من الواجب على الدعاة توجيه الرأي العام إلى عدة قضايا مهمة تحتاجها مجتمعاتنا، ومنها: التربية على الاهتمام بأمر المسلمين:

فدين المسلم يوجب عليه ويلزمه بالاهتمام بأمر أخيه المسلم، ويحرم عليه أن يخذله أو يسلمه أو يخزيه، بل عليه أن ينصره وينتصر له، ويدافع عنه، ويقويه إذا استضعف، ويغنيه إذا افتقر، ويسد خلته إذا احتاج، ويرد عنه الكيد إذا كيد به، ويأمره بالمعروف إذا قصر، وينهاه عن المنكر إذا عصى.

وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿ٱلْإِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال: ﴿ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال: ٧٢]. وقال: ﴿ٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ٢].

وفي ذلك وردت أحاديث عديدة في هذا المعنى، منها قوله . ﷺ .: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة" [٢]، وقال . ﷺ .: "إن المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا، وشبك أصابعه" [٣]، وقال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" [٤]...، إلى غير ذلك من أحاديث.

بل إن النبي . ﷺ . صرح أن من أراد أن يصنف في المسلمين، ويبقى فيهم مسلما، عليه أن يهتم بأمرهم، وإلا فهو ليس منهم، فقال ﷺ: "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمسي ناصحا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم" [٥].

فغرس هذا المعنى المهم عند جماهير الأمة، يبقى كيان الأمة موحدا قويا، وجانبهم مهابا، وحقهم قائما، وشهادتهم على الأمم حاضرة [٦].

---

(١) المرجع نفسه، ص٩٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، بَابٌ: لاَ يَظْلِمُ المُسْلِمُ المُسْلِمَ وَلاَ يُسْلِمُهُ، حديث رقم (٢٤٤٢)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ ، برقم (٤٦٧٧).

(٣) أخرجه البخاري، صحيح البخاري (١ / ١٠٣)، كتاب الصلاة، بَابُ تَشْبِيكِ الأَصَابِعِ فِي المَسْجِدِ وَغَيْرِهِ، حديث رقم (٤٨١).

(٤) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابٌ: مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، (١ / ١٢)، حديث رقم (١٣).

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، جـ٢، ص٥٠، وأبو نعيم في "الحلية"، جـ٢، ص٢٥٢، وإسناده حسن.

(٦) "دعوة الجماهير...."، ١٥٢.

ولذا ينبغي أن يركز الدعاة على ما يجمع شمل المسلمين، ويوحد كلمتهم، خاصة وأن ما يجمع ويضم أكثر وأوسع مما يفرق ويشتت.

وعلى الجميع أن يتبرأ من كل العصبيات، فإن الأخوة الإسلامية فوق كل العصبيات أيا كان اسمها ونوعها [١]، وقد بين النبي ذلك، فقال: "ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية" [٢].

وصدق من قال: « إن إشغال الناس بالجزئيات، والأمة تجتث جذورها، وتستأصل شأفتها، من أعظم الخيانة لها، وللمنهج الرباني، الذي كلفنا بحمله، والدفاع عنه »[٣].

إن من الضروري العناية بالمجتمع، والانخراط في مؤسساته، وتحديد دوائر الخير، ووضع الخطط المناسبة للتوسع فيها، والامتداد بفعل الخير، وتقديم نماذج في مواقع المجتمع، كافة، تتميز بالأمانة والإتقان، وتقدير الوقت، وحسن التعامل معه، والإشفاق على الناس، ورحمتهم، وتجسيد القيم الإسلامية التي يحتاجها المجتمع من عدل وإيثار واحتساب، وإبداع في كل خير [٤].

إن على الداعية أن يكون رجلا اجتماعيا، لا يفتقده الناس في المناسبات الخاصة بهم، سواء كانت أفراحا أم أحزانا، بل عليه أن يكون أول الحضور، ساعتها، سيثق الناس بالدعوة والداعي، وتنال محبة وتقديراً.

وقد كان رسول الله . ﷺ . كذلك، يزور المرضى، حتى من أعدائه، ويتفقد أصحابه، ويسأل عن الغائب، ويشهد عقود النكاح في المسجد، ويشهد عليها، وكان يلبي دعوة الداعي إلى عقيقة أو وليمة، وخلاف ذلك.

هـ - العناية بالعبادة الخاشعة، والتزكية:

من الضروري توجيه الداعية اهتمامه إلى تصحيح مفهوم العبادة في النفوس، ليخلص مفهومها مما شابه من شوائب مع مرور الزمن، ومن أخطر هذه الشوائب ما يلي:

ا . حصر مفهوم العبادة في معنى ضيق، هو مجرد القيام بالشعائر التعبدية، من صلاة وصيام وزكاة وحج، دون شمول العبادة لكل عمل من أعمال العبد، والمنتظم لكل علاقة من علاقاته، ففصلوا بين هذه الشعائر ،وبين غيرها من العلاقات الأخرى، كعلاقته بنفسه، وعلاقته بالناس من حوله.

---

(١)المرجع نفسه، ، ص١٥٢، ١٥٣.

(٢)سنن أبي داود، كتاب الأدب، بَابٌ فِي الْعَصَبِيَّةِ، (٤ / ٣٣٢)، حديث رقم (٥١٢١)، قال الألباني: ضعيف، انظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود، ج١، ص٢.

(٣) "مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي"، رقم ٣، مرجع سابق، ص١٣٥.

(٤) أ/عمر عبيد حسنة، في تقديمه لكتاب "دعوة الجماهير، مكونات الخطاب، ووسائل التسديد"،مرجع سابق .

فما كان من التصرفات والأعمال بين العبد وربه اعتبروه عبادة، وخضعوا فيه للأحكام الشرعية، وما كان غير ذلك اعتبروه من الأعمال الدنيوية، والتصرفات الشخصية التي لا يرجع فيها إلى دين، ولا يحكم فيها شرع! [١].

٢. تحول شعائر العبادة في حياة كثير من المسلمين إلى مجرد حركات جوارح، وطقوس لا أثر لها في حياتهم، وتحولت عباداتهم إلى عادات، فضاعت بذلك كثير من الوظائف الفردية والاجتماعية للعبادات.

لقد كان أسلافنا منتبهين، يقظين في كل عبادة من عباداتهم، واعين لما يقرأون ويذكرون، فاهمين لكل لفظة معناها، ومستشعرين في كل حركة مدلولها، ومن هنا كانت محبتهم للعبادات، وحرصهم عليها؛ لأنها عندهم رقي روحي، وتأمل وتفكير، وخضوع وانقياد، وتزكية ومتعة، ومن هنا استقام سلوكم، وصلحت حياتهم [٢].

وللعبادة أثرها الكبير في الإنسان، حيث تجعله إنسانا مهذبا، متوازنا في تحقيق متطلبات الروح والجسد، قويا لا يهاب، صبورا لا يجزع، صدوقا لا يكذب، أمينا لا يخون.

هذا إلى جانب وظيفتها الاجتماعية، وآثارها العامة [٣].

فالتربية الإيمانية هي الركيزة الأساس التي ينبغي أن تبنى عليها الدعوات.

والتربية الصحيحة تعين على تهذيب النفس البشرية، ومداواة أمراضها، وكبح جماحها، وتسمو بها بعيدا عن الحظوظ الفاسدة، والشهوات الآثمة، وهي الضمانة الحقيقية التي تبني الصف، وتوحد القلوب، حتى عند الاختلاف، وتباين الاجتهادات [٤].

لذا من الضروري تدعيم الجانب الروحي التزكوي الإيماني، وإفساح مجال واسع له في الخطاب الإسلامي، وذلك بالحث على الإكثار من العبادات الخاشعة، ومراقبة الله تعالى في السر والعلن، والتنزه عن المخالفات الشرعية [٥].

إن من أصول الشريعة ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، « وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح....، وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم، فهي واجبة في كل وقت، ولهذا كان الإيمان واجب القلب على الدوام، والإسلام واجب الجوارح في بعض الأحيان، فمركب الإيمان القلب، ومركب الإسلام الجوارح »[٦].

لقد ارتبط التدين لدى كثير من المتدينين بالأعمال الظاهرة، على حساب استصلاح القلوب، والعناية بأعمالها، مع أن القلب إمام الجوارح وشريف الأعضاء، بصلاحه تصلح، وبفساده تفسد.

---

(١) "بصائر دعوية"، مرجع سابق، ص١٩، ٢٠، ٢١. (٢) المرجع نفسه، ص٢٣، ٢٤، ٢٨ و ص٣١-٣٥.

(٣) المرجع نفسه، والآثار كثيرة مذكورة.

(٤) «أيها الدعاة»، افتتاحية مجلة البيان، عدد ٢٦٩، محرم ١٤٣١هـ/يناير ٢٠١٠م، ص٥٢٤.

(٥) "مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي"، مرجع سابق، ص٢٥٣.

(٦) الإمام ابن القيم، "بدائع الفوائد"، جـ٤، ص٢٨٧، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ومن تأمل أحوال الناس يشاهد بوضوح ضعف الرعاية لأحوال القلب، مع جلالة وعلو منزلة هذه الأحوال، وكونها شرط النجاة، وركيزة التدين [١].

وقد قيل: « لا يستقر للعبد قدم في المعرفة، . بل ولا في الإيمان . حتى يؤمن بصفات الرب، . ﷻ .، ويعرفها معرفة، تخرجه عن حد الجهل بربه، فالإيمان بالصفات وتعرفها هو أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإحسان »[٢].

إن من الضروري عناية الدعوة والدعاة ببناء الأفراد على الأخلاق الفاضلة، وبناء المجتمعات على الآداب الشريفة، فذلك ركن ركين في دين الله، والتربية كالزراعة والصناعة، عمل يحتاج إلى جهد طويل، وتشترك فيه عناصر كثيرة، وليس كلاما مرسلا، أو خطابة حماسية: كيف نخلص النفوس من الحرص والحقد والكبر والرياء؟، كيف ننشئ أناسا يحبون الإتقان، ويعشقون الجمال والإجادة، ويرفضون الخلل والفوضى؟، في أمة يكره دينها الأمر الفرط، لماذا ينتشر التسيب في إدارتها؟، وفي أمة يبنى فقهها على النظافة، لماذا تنتشر القمامة والوساخة [٣].

ومن المعاني المطلوب ترسيخها في أذهان وواقع المسلمين اليوم أن الصالحات المطلوبة من المسلم « تصنعها فأس الفلاح، وإبرة الخياط، ومشرط الطبيب، وقارورة الصيدلي، ويصنعها الغواص في بحره، والطيار في جوه، والباحث في معمله، والمحاسب في دفتره، يصنعها المسلم، صاحب الرسالة وهو يباشر كل شيء، ويجعل منه أداة لنصرة ربه وإعلام كلمته »[٤].

فالداعية المؤمن يعلم أن وظيفته عنوانها إصلاح الحياة، فيوسع قلبه للمقصر، والمبطئ، والمخلط، ومن عنده نوع من النقص، ويذهب في الحلم بعيداً [٥].

إن بداية الإصلاح في الحياة هو إصلاح القلب والنفس [٦]. لذا وجب التركيز عليه، والبدء به، تربية ووعياً، وفهماً.

ولإحدى الداعيات تجربة ناجحة في ذلك، فعندما كانت تلتقي بغير محجبة، لم تكن تسألها عن أسباب عدم ارتدائها الحجاب الشرعي، بل كانت تسألها عن إقامتها للصلاة، وقراءتها للقرآن، وانتظامها في صلاة الفجر، إنها كانت تنظر إلى الجوهر والقلب الذي بصلاحه يتم صلاح الظاهر والجوارح، لذا حدث أن جاءت إلى درسها الدعوي امرأة حاسرة الرأس، ومعنا بناتها الثلاث، وكن في

---

(١) "ركائز التدين"، افتتاحية مجلة البيان، عدد ٢٦٨، ذو الحجة ١٤٣٠هـ/ ديسمبر ٢٠٠٩م، ص٧٢٦.
(٢) انظر "مدارج السالكين"، ص ٥٥ .
(٣) "مشكلات في طريق الحياة الإسلامية"، مرجع سابق، ص٤٨.
(٤) المرجع نفسه.
(٥) "صراطنا المستقيم"، للأستاذ/ محمد أحمد الراشد ، ص ١٦.
(٦) المرجع نفسه، ص٩، ٢٣.

سن الشباب والنضج، وقالت المرأة للداعية: سأحضر دروسك أنا وبناتي، ولكن بشرط، عليك أن تعرفيه، وهو أننا لن نتحجب، ولن يرغمنا أحد على ارتداء الحجاب!. فقالت لها الداعية: أهلا بك وببناتك لسماع كلام الله ورسوله، وأما الحجاب فهذا قرارك أولاً وأخيراً.

ومرت فترة من الزمن، وجاءتها بعد ذلك سيدة محجبة وجلست بين يديها قائلة لها: لقد ضحكت علينا، لم نتفق على هذا، فردت الداعية عليها: يا سيدتي، أنا لم أرك من قبل، ولم أتفق معك على شيء، ولم أضحك على أحد، لماذا تقولين هذا الكلام؟. فقالت لها السيدة: "أنا حضرت لزيارتك قبل حوالي ستة أشهر، ومعي بناتي الثلاث، واشترطت عليك حضور دروسك بشرط عدم ارتداء الحجاب، وها نحن الأربع، قد ارتدينا الحجاب"، فردت عليها الداعية بأنها رحبت بحضورها الدروس على أمل شرح الله صدرها وبناتها للحجاب، وقد حدث والحمد لله، فضحكت الأم وبناتها، وشكرن الداعية على أسلوبها الموفق في الدعوة إلى الله [١].

ومن الأهمية الكبيرة العناية بالتربية الدينية الأخلاقية العميقة، التي تبتغي إنتاج الرجال، الذين يتمتعون بصفاء، ولهم علم وقلوب حية، ينتشرون في كل الميادين، يمارسون الإصلاح التحتي، إصلاح النفوس، ثم التصاعد التدريجي نحو الأعلى [٢].

فالتغيير الناجح يبدأ بتغيير النفوس أولاً، وبناء الشخصية المؤمنة، الفاهمة لدينها، العاملة على نشر دعوتها، المستمسكة بالحق، المقاومة للباطل، الساعية في إصلاح النفس والبيت، والمجتمع، والأمة، والبشرية جمعاء، المتوكلة على الله، في بلوغ الغايات الجليلة، الصابرة على الأذى، المحتسبة في سبيل الله ما تلاقى [٣].

ومن الأولويات المهمة في مجال إصلاح مجتمعاتنا المسلمة العناية ببناء الفرد، قبل ومع بناء المجتمع، أو بعبارة أخرى: الاهتمام بتغيير النفس قبل تغيير الأنظمة والمؤسسات، وهذا التزام بالقاعدة القرآنية الربانية: ﴿ھھےےۓۓڭڭڭڭ﴾ [الرعد: ١١].

إن البدء بإصلاح الإنسان وتكوينه وتربيته تربية إسلامية كاملة أساس كل إصلاح أو تغيير اجتماعي، وهو مقدمة ضرورية لكل أنواع البناء، وهو أساسه المتين.

فعلى الدعاة بناء الإنسان؛ عقليا بالثقافة النافعة، وروحيا بالعبادة الخاشعة وجسميا بالرياضة المناسبة، وخلقيا بالفضائل السامية، وعسكريا بالتجلد والخشونة، واجتماعيا بالمشاركة الراقية، وسياسيا

---

(١) بدر محمد بدر، "زينب الغزالي، امرأة الدعوة والموقف"، مجلة الرسالة، عدد رمضان ١٤٣٠هـ/ سبتمبر ٢٠٠٩م، ص٨٥.
(٢) "صراطنا المستقيم"، للأستاذ/محمد أحمد الراشد ، ص٢٣، ٢٤.
(٣) د/ عادل فهمي، "سورة الأحقاف، ومنهج الدعوة إلى الله"، مجلة الرسالة، عدد ٢٣، ربيع الأول ١٤٢٨هـ/ ابريل ٢٠٠٧م، ص٤٢.

بالتوعية النابهة، كل هذا لينهض بعبء الإصلاح، وتكاليف دينه ودعوته، فلا يبخل بمال، ولا يضن بنفس، ولا يبالي بما يصيبه في سبيل ربه، وهو في الوقت نفسه تتجسد فيه قيم دينه، ومبادئ إسلامه، حية ملموسة [١].

إن فقه التغيير والإصلاح يحتاج إلى إحلال قيم محل قيم، وتقديم قيم على قيم؛ إحلال الإيثار محل الأنانية، والتواضع محل الاستكبار والغرور، والعدل والإنصاف محل الظلم والإجحاف، وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

والنفس الإنسانية هي جوهر عملية التغيير، ولابد أن يتعرف الإنسان على مكانته في هذا الكون، وعلى مهمته في هذه الحياة، حتى تتحرك في نفسه بواعث النهوض والإصلاح، ويبدأ بنفسه أولاً. [٢]

ومن المهم تكوين جيل من المؤمنين بتعاليم الإسلام، الصحيح، يعمل على صبغ المجتمع بالصبغة الإسلامية الكاملة الرحيمة، في كل مظاهر حياتها.

هذا الجيل هو القاعدة الصلبة، والركائز المؤمنة التي يقوم عليها الحكم النظيف الراشد، وتتحمل تبعاته، وتقود الأمة على مناهجه.

هذا النشء هو الركيزة التي لابد من وجودها وانتشارها في كل بقعة وقرية، ومؤسسة، وكل شريعة اجتماعية، بالعدد الذي يؤهلها أن تؤثر في هذا المكان، وتقوده إلى شريعة الله. [٣]

❁ ❁ ❁

(١) "في فقه الأولويات...."، ص١٧٩-١٨١، وانظر د/ سالم البيانوني، في "البدائل المشروعة وأهميتها في نجاح الدعوة الإسلامية"، ط١، ٢٠٠٥م، دار الإبداع الفكري، ص٤٦، ٤٧.

(٢) د/ نيفين عبد الخالق، « جهاد النفس مفتاح التعيير »، مجلة الرسالة، عدد ٣٦، رجب ١٤٣١هـ، ص ٦٧-٦٩ .

(٣) د/ عبد الخالق الشريف، «منهج التغيير ووسائله»، مجلة الرسالة، عدد ٣٦، رجب ١٤٣١هـ، ص ٦١-٦٦.

المبحث الثاني: التـــدرج في الدعوة والإصـــلاح

إن الحكمة قاضية بالتدرج، لأن الطبائع لا تقبل التكاليف جملة واحدة، ولا تتخلى عن عاداتها ومألوفاتها دفعة واحدة، وإنما يروض الناس على قبول التكاليف ترويضا، ويفطموا عن عاداتهم شيئا فشيئا، حتى يتخلوا عنها ويقلعوا.

والتدرج يسهل قبول الدعوة، ويؤهل المدعوين للتكاليف، وامتثالها من غير ضجر ولا عنت، فإن التكليف بالكثرة مما لا يطيقه الناس وينفرهم من الدين كله. والتدرج وسيلة الإحكام والإجادة، والإتقان [١].

فالتدرج من الثوابت المهمة في عملية الإصلاح والتغيير، وتنزيل الأحكام [٢].

ومن الضروري جدا، أن يكون لدى الداعية منهج واضح في قضية التدرج مع المدعوين، وفقه في الأولويات، ينبغي تقديمه ومراعاته، لكي يوفق إلى اختيار الأهم فالمهم، إذا ما تزاحمت لديه الأمور، واجتمعت عليه في آن واحد القضايا. وحتى يأتي التصرف السليم في المواقف، مما يحفظ عليه وقته وجهده، فينتفع وينفع، ويزرع ويثمر.

فالمقصود بالتدرج: الانتقال بالمدعو من الأسهل إلى الأصعب، ومن الكليات إلى الجزئيات، ومن الدعوة النظرية إلى الدعوة العملية التطبيقية، ومن الإيمان إلى الأعمال، ومن التوحيد إلى العبادات.

والانتقال به في باب المحرمات، من محرم إلى آخر، ومن تحريم الكبائر إلى تحريم الصغائر، حتى يصل المدعو إلى مرتبة التكيف مع كل توجيه، والانصياع لكل أمر [٣].

وصدق ابن القيم حين ذكر أن «فطام النفوس عن مألوفاتها بالكلية من أشق الأمور عليها، فأعطيت بعض الشيء، ليسهل عليها ترك الباقي، فإن النفس إذا أخذت بعض مرادها قنعت به، فإذا سئلت ترك الباقي كانت إجابتها إليه أقرب من إجابتها لو حرمت بالكلية، وبالجملة، فما حرم عليهم خبيثا ولا ضارا إلا وأباح لهم طيبا بإزائه، أنفع لهم منه»[٤].

فالتدرج منهج دعوي ثابت، وطريقة تربوية لا تنسخ، وتمام الشريعة لا يعارض سنة التدرج، بل إن من كمال الشريعة وجمالها بقاء هذه السنة، وذلك ليتناسب هذا الدين وأحوال الناس كافة،

---

(١) "من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق"، مرجع سابق، ص ١١٧-١٢٢. و "منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر"، د/عدنان عرعور، مرجع سابق، ص ٧٣. و "البدائل المشروعة وأهميتها في نجاح الدعوة الإسلامية"، د/ سالم البيانوني، ص ٣٣، ٣٤.

(٢) "الاجتهاد المقاصدي، حجيته، ضوابطه، مجالاته"، جـ٢، ص١٥٢.

(٣) د/ عدنان محمد عرعور، "منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر"، ط١، ٢٠٠٥، ص٧٣.

(٤) "إعلام الموقعين"، جـ٢، ص٤٣٢، ٤٣٣. و "البدائل المشروعة وأهميتها في نجاح الدعوة الإسلامية"، ص٦٥.

ويتساءل أحد الدعاة: « لو سلم بأن التدرج منسوخ..، فكيف ستعامل هذه الشعوب المسلمة التي خرجت مما وقع فيها من الفتن، وهي لا تعلم عن دينها شيئا، أتريدون أن نلقي عليهم الإسلام جملة واحدة، حتى ينفروا؟... سبحانك ».

فعلة التدرج مازالت موجودة وقائمة، وستبقى إلى يوم القيامة، والعلة هي: وجود مجتمعات جاهلية تدعى إلى الإسلام، ووجود مسلمين حديثي عهد بجاهلية، فلو أن رجلا يريد أن يسلم، واستثقل ترك الخمر، فلا مانع أن يسلم، ولو بقي على ذنبه، أو استثقل الحج، فيقال له: أسلم، ثم يكون بعد ذلك ما يكون، أو إذا أرادت المرأة أن تسلم، على أن لا تتحجب، فيقال لها: أسلمي، ولو بقيت سافرة.

وبهذا يتبين خطأ ما فعله البعض، عندما أرادت امرأة الإسلام، فقيل لها: إن الإسلام يبيح تعدد الزوجات، فامتنعت عن الإسلام.

ولما أراد رجل الإسلام، قيل له: إن الإسلام يضرب عنق من ارتد، فلم يسلم!، والحكمة تقتضي فتح باب الإسلام لهم، وقبول إسلامهم، ثم يندرج معهم في أحكام الدين، واحدا تلو الآخر، حتى يثبتوا [١].

إن التدرج سنة كونية، وسنة شرعية أيضًا، ولهذا خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام، وكان قادرا على أن يقول: كن فيكون، ولكنه خلقها في أيام ستة من أيام الله تعالى، أي في ستة أطوار أو أزمنة يعلمها الله، فليست هي أيامنا هذه، إذ هي قبل خلق الشمس والأرض، وما يتبعهما من ليل أو نهار. وكذلك نرى خلق الإنسان والحيوان والنبات، كلها تندرج في مراحل، حتى تبلغ نماءها وكمالها.

هذا من الناحية الكونية، وأما من الناحية الشرعية، فقد بدأ الإسلام بالدعوة إلى التوحيد، وتثبيت العقيدة السليمة، ثم كان التشريع شيئا فشيئا، فقد فرضت الفرائض وحرمت المحرمات بالتدريج، كما هو ثابت في فرض الصلاة والصيام والزكاة، وتحريم الخمر وغيرها، ولهذا افترق القرآن المكي عن القرآن المدني [٢].

والداعية بتدرجه مع المدعوين ينقلهم خطوة، خطوة، من الظلمة إلى النور، من غير أن يقفز بهم بصورة حادة وسريعة، ليحرق المراحل، وإنما يسكب في أرواحهم نور الله، الذي له سلطان

---

(١) د/ عدنان عرعور، "منهج الدعوة، في ضوء الواقع المعاصر"، مرجع سابق، ص ٧٦. وانظر "من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق"، مرجع سابق، ص ١٥٤-١٥٦.

(٢) "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف"، مرجع سابق، ص١٠٦، ١٠٧، و "البدائل المشروعة وأهميتها في نجاح الدعوة الإسلامية"، ص ٣٤.

مؤثر على النفوس، بالتدرج، وبجرعات، فينفعل، ويلين قلب المدعو، ويذوق طعم الجرعة في كل مرحلة، ويحس بالروح والطمأنينة،....، إلى أن تنضج المراحل، ويغمره النور، وبدوره فإن هذا المدعو بعد ذلك يتعامل مع غيره بنفس الأسلوب، بفقه شمولي معتدل، مرن واقعي، وبنفس طويل، وصبر جميل [١].

ولما جاء وفد ثقيف إلى الرسول . ﷺ .، فدعاهم إلى الدين، قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، ولكن أما الصلاة فلا نصلي، وأما الزكاة فلا نزكي، ولا نجاهد في سبيل الله، فقال الرسول لهم: "أما الصلاة، فلا خير في دين لا صلاة فيه»، وأما الصدقة والجهاد فقال النبي . ﷺ . بشأنهما: "سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا"[٢]. وبالفعل أسلموا، وصلوا، وزكوا، وجاهدوا، ونشروا دين الله في الأرض [٣].

فهذا القرار النبوي . الموافقة على ترك بعض الفرائض . إجراء مؤقت، كان يرجى من ورائه الاستعداد للقيام بجميع الواجبات، وترويض النفس على الاستسلام لدين الله، وأحكامه، وهذا ما بينه النبي . ﷺ . بقوله: "سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا" [٤].

وعلى الداعي الذي واجهته مثل هذه الحالة، [حالة ثقيف] – أن يستمر في بذل جهوده، الممكنة كي يتمسك المقبل على الإسلام، بجميع عرى الإسلام وشرائعه، ويقوم بأداء جميع واجبات دينه.

ولا يفهم مما سبق ذكره الموافقة على ترك بعض الفرائض لكل مقبل على الإسلام، بل لكل مقام مقالته، ولكل حالة ما يناسبها، فإذا رؤي أن رفض طلب ترك بعض الفرائض يجعل الراغب في الإسلام يؤديها كلها، فلا يوافق على طلبه، لأن المرء مطالب بأداء الفرائض كلها.

وإذا رؤي أن رفض طلبه يصرفه كليا عن الإسلام، يوافق على طلبه كإجراء مؤقت، لأن الإعراض عن الإسلام كلية أقبح وأشنع من ترك بعض الفرائض وأداء بعضها [٥].

وقد وجدنا في السيرة النبوية ما يؤيد ما سبق، فوفد ثقيف حسن إسلامهم والتزموا بالإسلام كله، أما الصحابي بشير بن الخصاصية الذي اشترط على النبي، ليدخل في الإسلام إعفاءه من الجهاد

---

(١) "عبير الوعي" للأستاذ/ محمد أحمد الراشد، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الخراج، والإمارة والفيء، رقم الحديث (٢٣٠٢٣) جـ ٢٨، ص ١٨٤، ١٨٥، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود، ج٣، ص١٢٥.

(٣) "٣٠ وقفة في فن الدعوة"، مرجع سابق، ص ١٣.

(٤) د/ فضل إلهي، "من صفات الداعية، مراعاة أحوال المخاطبين، في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين"، مرجع سابق، ص ٨٧، ٨٨.

(٥)"من صفات الداعية....."، المرجع السابق ص ١٨٢.

والصدقة، فقد رفض النبي . ﷺ . طلبه، وقال له: " فلا جهاد ولا صدقة، فلم تدخل الجنة إذاً؟" وذلك لعلم النبي أن بشيرا يقبل رفضه، ولذلك قال للنبي: يا رسول الله أنا أبايعك، وقال: "فبايعت عليهن كلهن"[١]، أما ثقيف فما كانت تقبل في الحال، وهم جماعة، فأراد أن يتألفهم، ويدرجهم عليه شيئاً فشيئاً [٢].

إن بعض من يدخل الإسلام تأخذه الأنفة ونخوة الامتناع في أول الأمر، ويتأبى على كل الإسلام، فمن الحكمة قبول أدنى صور الالتزام بالإسلام، تألفا لهم، وتدرجا بهم إلى الاستقامة، وهذا ما كان من أمر ثقيف مع رسول الله . ﷺ .، فقد قتلوا عروة بن مسعود . رضي الله عنه .، وكان أحب إليهم من أبكارهم وأبصارهم، وكان فيهم محببا مطاعا، ومع ذلك لما أظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل وجه، حتى قتلوه ! [٣]، فلما قدموا على رسول الله المدينة، أنزلهم المسجد، حتى يكون ذلك أرق لقلوبهم، واشترطوا ليسلموا خمسة أمور، هي:

١- ألا يكسروا أصنامهم بأيديهم.

٢- ألا ينتدبوا إلى الجهاد والمغازي.

٣- ألا يعشروا ولا يجبوا، أي الزكاة والصدقة.

٤- أن لا يستعمل عليهم غيرهم.

٥- أن لا يصلوا.

هذه شروطهم التي وافق عليها النبي . ﷺ .، وقبل منهم أدنى الالتزام، وهو الصلاة، وقال لهم: "لكم أن لا تحشروا (أي للجهاد)، ولا تعشروا، ولا يستعمل عليكم غيركم، ولا خير في دين لا ركوع فيه" [٤]، وفي رواية قال النبي لهم: "أما كسر أصنامكم بأيديكم فسنعفيكم من ذلك، وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه"[٥]، ولما قيل له في ذلك، أجاب رسول الله بقوله: "سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا"[٦].

❁ ❁ ❁

---

(١) مسند الإمام أحمد ابن حنبل، جـ٥، ص٢٢٤، و"مجمع الزوائد" للهيثمي، جـ١، ص٤٢، قال شعيب الأرنؤوط : رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر جـ٢، ص٢٣٩-٢٤٠.

(٣) عبد الله بن الزبير، "من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق"، ص ١٥٦، ١٥٧.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب: ما جاء في خبر الطائف، حديث رقم (٣٠٢٦)، جـ٣، ص١٦٣، ١٦٤، قال الألباني: صحيح.

(٥) سيرة ابن كثير، جـ٤، ص٥٦، دار المعرفة - بيروت - لبنان.

(٦) سنن أبي داود، مرجع سابق، جـ٣، ص١٦٣.

المبحث الثالث: تنويــع مناهج وأساليب الدعــوة، والعناية بالحوار

إن من المهم تنويع أساليب الدعوة، عرضا وتفهيما، ليزداد الناس تمسكا بدينهم، ويشتاقوا لسماع أمور دينهم، ولا يملوا.

وعلى الداعي إلى الله أن يدعو كل من يستطيع دعوته، مع ضرورة معرفة مخاطبيه لتكون دعوته أكثر ملائمة لهم، فيكون تأثيرها أوقع وأشد وأكثر، وأسرع، وعليه الحرص على اختيار الموضوعات الملائمة لهم، فيتحدث عن الموضوعات التي يحتاجونها، مع مراعاة المستوى العقلي والفكري للمخاطبين.

والداعية كالطبيب، فلا يقدم للمصاب بمرض السرطان علاج مرض السكر، أو العكس، بل يقدم لكل مريض العلاج المناسب له،وبالقدر والأسلوب الملائمين،حتى يؤتي العلاج أكله [١].

وقد اهتم بهذا كله إمام الأنبياء . ﷺ .، وتجلى هذا في سيرة النبي المطهرة، في عدة وجوه، ومنها ما يلي:

١. تنويع النبي . ﷺ . وصاياه الكريمة للصحابة رضي الله عنهم.
٢. عنايته . ﷺ . بالتعرف على المدعوين، وأمره بمراعاة الترتيب في الدعوة.
٣. تنويع النبي الكريم في الإجابة، رغم اتحاد السؤال من السائلين، ومراعاته أحوال الوافدين عليه، وأحوال الناس عند الإفتاء، وأحوال المأمومين.
٤. تخصيص النبي الأمين . ﷺ . بعض الصحابة ببعض الأخبار دون الآخرين. وتفقده المدعوين، واستخدامه الشدة واللين في الدعوة.... إلخ [٢].

وقد اهتم السلف الصالح، بهذا الأمر، وتجلى ذلك لديهم في عدة وجوه، منها ما يلي:

أ – مراعاة السلف الصالح عقول الناس عند التحدث إليهم.

ب – تأكيدهم على ضرورة مراعاة نشاط الناس عند الحديث إليهم... إلخ.

لذا كان من الواجب ارتكاز الأساليب والمناهج الدعوية على الأسس الفطرية، والركائز البشرية الشاملة للقلب والعقل والحس.

ذلك، لأن منافذ المعرفة البشرية لا تعدو هذه النوافذ من جهة، ولأن هذه المنافذ متشابكة في النفوس البشرية، لا يمكن فصل بعضها عن بعض من جهة أخرى، فلكل إنسان عواطف ومشاعر محلها القلب.

---

(١) د/ فضل إلهي، " من صفات الداعية، أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين"، مرجع سابق، ص ١٥٨، ١٥٩.

(٢) المرجع نفسه، ص١٥٩، ١٦٠.

ولكل إنسان تفكر وتدبر محله العقل.

ولكل إنسان حواس، من سمع وبصر، وشم ولمس، يتعرف بها على الأشياء.

فالكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، والترغيب والترهيب....، كل ذلك وما شابهه، أساليب تنفذ إلى القلب سريعا، لأن القلب مركز العواطف، والمشاعر الإنسانية.

وكل هذه الأساليب، بأشكالها وأنواعها العديدة تشكل ما يمكن تسميته بالمنهج العاطفي في الدعوة إلى الله.

أما المنهج العقلي في الدعوة إلى الله تعالى فيتضمن أساليب تنفذ إلى العقل سريعا، إذ العقل مركز التفكر والتدبر، ومن هذه الأساليب: الجدل والحوار، وضرب الأمثال، والمحاكمات العقلية.....، وما إلى ذلك من أشكال وأساليب [١].

أما المنهج الحسي أو التجريبي، فيقوم على الحواس البشرية التي تنقل إلى القلب، أو العقل، أو إليهما معا، تلك المعاني والأفكار والمعارف، إنها أساليب ترتكز على مخاطبة الحواس، فتدعو إلى المشاهدة والنظر، والتفكر في مخلوقات الله، كما تدعو إلى الاستماع، واللمس باليد، وما إلى ذلك.

ومن الضروري أن يتعرف الدعاة على هذه المنافذ الثلاثة: العاطفة والعقل والحس، والبحث عن الأساليب المساعدة على النفوذ منها، لينفذ بها إلى قلوب الناس، وعقولهم وحواسهم [٢].

ومن حكمة الدعوة أن يحسن الداعي اختيار المنهج المناسب لتطبيقه في المواقف المناسبة، والحالة المناسبة، فقد يصلح منهج ما لحالة من الحالات، أو معالجة موقف من المواقف، ولا يصلح لغيره، وقد يصلح المنهج العاطفي في موقف لا يصلح له المنهج العقلي، كما قد يصلح المنهج العقلي لموقف لا يصلح له المنهج العاطفي....، وهكذا [٣].

وقد ر أينا النبي . ﷺ . يستخدم المنهجين معا في موقفه مع الشاب الذي جاء يستأذنه في الزنا، فقد جاء في مسند الإمام أحمد عن أبي أمامة . رضي الله عنه . قال: "إن فتى شاباً أتى النبي . ﷺ . فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل عليه القوم، فزجروه، قالوا: مه، مه، فقال رسول الله . ﷺ .: "ادنه"، فدنا منه قريبا، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال الشاب: لا والله، جعلني الله فداك، قال النبي: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم؟"، قال: "أفتحبه لابنتك؟" قال الشاب: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، فقال النبي: "ولا الناس يحبونه لبناتهم"، قال النبي: "أفتحبه لأختك؟"، قال

---

(١) المرجع نفسه، ص٦٤.

(٢) "بصائر دعوية"، مرجع سابق، ص٦٤.

(٣) المرجع نفسه، ص٦٧.

الشاب: لا والله، جعلني الله فداءك، قال النبي: "ولا الناس يحبونه لأخواتهم"، قال النبي: "أفتحبه لعمتك؟"، قال الشاب: لا والله، جعلني الله فداءك، فقال النبي: "ولا الناس يحبونه لعماتهم"، قال النبي: "أفتحبه لخالتك؟"، قال الشاب: لا والله، جعلني الله فداءك، فقال النبي: "ولا الناس يحبونه لخالتهم"، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه"، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء [١].

فقول النبي . ﷺ . للشاب: ادنه وتقريبه منه، ووضع يده عليه، ودعاءه له...، كل ذلك من أساليب المنهج العاطفي، الذي يحرك الشعور والوجدان ويأسر القلوب.

ومناقشة النبي . ﷺ . للشاب، باستخدام القياس، ومجادلته له بالحسنى....، كل ذلك من أساليب المنهج العقلي.

لقد استخدم النبي . ﷺ . هذين المنهجين معا في وقت واحد، وهذا مظهر من مظاهر حكمة النبي . ﷺ . في تخير الأساليب والمناهج [٢].

والموعظة الحسنة من أهم الأساليب التي أمرنا الشارع باعتمادها في دعوتنا، لما له من بليغ الأثر في النفوس، وسرعة استجابتها له، وغرس المحبة والمودة في قلوب المدعوين، ولتنوع أشكاله، وكثرتها، ودوره في محاصرة المنكرات والقضاء عليها، فالعصاة يخجلون ممن يعظهم موعظة حسنة فيتركون المنكرات، أو لا يجاهرون بها، وتتخذ الموعظة الحسنة أشكالاً عديدة، منها ما يلي:

أ – القول الصريح اللطيف اللين، حيث قال تعالى: ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾.

ب – الإشارة اللطيفة المفهومة.

ج – التعريض والكناية، والتورية.

د – القصة المؤثرة، والخطبة البليغة، والفكاهة المضحكة.

هـ – التذكير بالنعم، المستوجبة للشكر.

و – المدح والذم، والترغيب والترهيب.

ز – البشارة والوعد...

ح – التحمل والصبر...

وما إلى ذلك من أساليب مباشرة، وغير مباشرة، تؤثر في نفوس المدعوين، وتدفعهم إلى الطاعة والاستجابة دفعاً [٣].

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣٦ / ٥٤٥)، حديث رقم: ٢٢٢١١، سبق تخريجه.

(٢) "بصائر دعوية"، مرجع سابق، ص٦٧، ٦٨.

(٣) المرجع نفسه، ص٧٢، ٧٣.

ومن المهم والضروري الضرب على الوتر العاطفي، وتحريك المشاعر، وإنهاض الهمم، وتناول حديث الجنة والنار، والموت والقبر، والزهديات والرقائق، والقلبيات، والأخلاقيات الإيمانية، والتنقل بين الآية والحديث، وأبيات الشعر، وقصص السلف، والصالحين، وقال الفضيل: وقال الثوري.....، مع العناية بإتقان قواعد النحو ليكون فصيحا، وبمطالعة كتب الأدب ليكون ثري اللغة [١].

العناية بأسلوب الحوار، والمجادلة بالحسنى:

فهذا الأسلوب منهج قرآني وعلاج رباني، وأسلوب نبوي، ما أحوج الدعاة إليه، والتدرب على إتقانه، والتعرف على مواطن استعماله، ومظاهره، خاصة مع من يغلب عليهم الطابع الجدلي، ولا يتأثرون بالمنهج العاطفي.

ويكفينا بيانا لأهميته، أن الله عز وجل ارتضاه لنفسه، فحاور عباده، واعتمده في خطاباته، مع إنسه وجنه، ومع ملائكته.

كما اعتمد رسول الله . ﷺ . عليه في دعوته، فحاور جميع من حوله من المؤمنين، والمشركين، وأهل الكتاب، حتى أصبح الحوار شعارا لأحاديثه مع أهله، وأصحابه، وطابعا عاما لأسلوبه في دعوته، لا يفرق في ذلك بين كبير وصغير، ولا بين قريب وبعيد، ولا بين ذكر وأنثى، فبذلك كان الحوار أسلوبا ناجحا، وسنة متبعة في تعليم الناس، وتزكيتهم، وإنقاذهم من الجهل والعمى إلى النور والهدى [٢].

إن الحوار والمجادلة بالحسنى، له آثاره العظيمة الجليلة، إذ به يصبح الغامض واضحا، والمبتلى معافى، والمخالف موافقا، والمنكر عاذراً، ويصبح الغضوب حليماً، والعجول متأنيا، والمبغوض محبوبا، والمحجم متعاونا، واليائس طموحا، والمتثاقل المحبط نشيطاً متفائلاً، تحدث كل هذه الآثار الطيبة إذا انضبط الحوار والجدال بالآداب القرآنية، والنبوية، والتي بينها علماؤنا الكرام، ولهذا كان من الجدال ما هو مذموم، وممدوح، فالممدوح هو الذي يبغي إلى إحقاق الحق، ونصرته وبيانه، بأسلوب صحيح مناسب.

أما المذموم فهو الذي يخلو من آداب الإسلام وأخلاقه الكريمة، ولا يطلب حقا، ولا هدى[٣].

كما يجب أن يخاطب الداعية الناس بلغة سهلة واضحة، وأن يبتعد عن التقعر، والتكلف، والبحث عن الألفاظ الغريبة، وقد ذم النبي . ﷺ . هذا المسلك [٤]، فقال: "إن الله . ﷻ . يبغض البليغ من الرجال، الذي يتخلل بلسانه، تخلل البقرة بلسانها"[٥].

---

(١) أ/محمد أحمد الراشد، "صناعة الحياة"، من سلسلة إحياء فقه الدعوة، ط١، ١٩٨٩م، دار المنطلق للنشر، دبي، ص٢٨، ٢٩.

(٢) "بصائر دعوية"، مرجع سابق، ص٧٥. (٣) المرجع سابق، ص٧٦.

(٤) محمد عبد الله الدويش، "تأملات في العمل الإسلامي"، ص٩٦.

(٥) مسند الإمام أحمد (١١ / ١٠١)، رقم (٦٥٠٧)، و سنن أبي داود (٤ / ٣٠٢)، رقم (٥٠٠٥)، قال الألباني: صحيح.

وأحياناً قد يدفع التكلف صاحبه إلى هجر المصطلحات الشرعية، والبحث عن مصطلحات حادثة، لا تفي، ولا تغني!.

كما ينبغي دعوة العامة للأمور الواضحة من الكتاب والسنة، بخلاف دقائق المسائل، سواء أكانت من المسائل الخبرية، أم من المسائل العملية.

كما يجب ترك تحديث الناس بما يشكل عليهم فهمه، أو يخشى أن ينزلوه على غير تنزيله، ويتأولوه على غير تأويله [١].

والداعية الموفق هو من يستطيع إيصال الفكرة إلى الجمهور بوضوح، وإقناعه بضرورة وإمكانية التغيير للأصلح، وأهمية مساهمته في بناء الأمة وإصلاحها [٢].

لقد جاء الإسلام لبناء العقلية الإسلامية العلمية، التحليلية البرهانية، التي تقدر حاجة القلب إلى اليقين، وحاجة العقل إلى الاقتناع، وحاجة النفس إلى الاطمئنان، وحاجة الإنسان إلى الصلاح، وحاجة الحياة إلى الحضارة والعمران، وتعمل على تلبية تلك الاحتياجات كلها [٣].

إن لكل قوم ملأً ونخبة، ولكل من الملأ والنخبة خطابه الخاص، وليسوا جميعا مستعصيين على الاستجابة لشرع الله، والمساهمة في نهضة الأمة والدين، إذا أحسن التعامل معهم، ورسمت خطة لذلك، تقوم على حسن الحوار والمناظرة الواعية، والبعد عن الوصاية والاستعلاء، والجدل العقيدي والفقهي مع هؤلاء، مع التركيز على زعزعة قناعاتهم الفكرية والمعرفية، وذلك بانتقاد الأسس المعرفية للحضارة الغربية، نقدا علميا رصينا محكما موضوعيا، بعيدا عن الخطاب العاطفي أو التعميمي، المصحوب بالأحكام الشرعية، المختلفة، التكفيرية، أو التفسيقية.... إلخ، وإعطائهم صورة صحيحة عن تشجيع الإسلام الدائم على تصويب الخطأ ونقده مهما كان مصدره، ويمكن تحويل الكثير منهم من الانحياز ضد الإسلام إلى الحياد، ومن الحياد إلى المناصرة والانتماء الصادق للدين والأمة، خاصة أصحاب العقل والموضوعية الذين ليست لديهم نزعات تعصبية معادية للإسلام، أو دوافع الحادية.

وآفة الكثير من هذه النخبة، تتمثل في عدم الاطلاع، أو عدم المعرفة الصحيحة بالثقافة والفكر الإسلامي، فإذا قدمت في الساحة الفكرية دراسات جيدة وجادة، قادرة على الارتفاع إلى

---

(١) "تأملات في العمل الإسلامي"، مرجع سابق، ص٩٧.

(٢) د/ طه جابر العلواني، "إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات"، ورقة عمل، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة إسلامية المعرفة، عدد ٩، ط١، ١٩٩١م.

(٣) المرجع نفسه، ص٦٦، ٦٧.

مستوى العصر، مع الربط بين القيم الإسلامية وبين العصر، وتقديم الإسلام كبديل حضاري، وثقافي عالمي، لمعالجة مشكلات الإنسان الأساسية [١].

إن نفراً من هؤلاء النخبة والملأ، قد تحول في مرحلة النضج الثقافي . إلى الاعتزاز بالفكر والثقافة الإسلامية بعد تنكره لها، بل كان ينفي وجودها أصلا، وأعلن أن هذا التنكر كان بسبب عدم اطلاعه على هذه الثقافة الإسلامية ! [٢].

والقرآن الكريم قد خاطب الملأ، وناقشهم، بطرق كثيرة، منها: الجدل والحوار، والقصة والمناظرة.... إلخ.

ومن الضروري العناية بدعوة القائمين على المؤسسات الثقافية والتربوية وغيرها في عالمنا الإسلامي، فكثير من رجالات الفكر والمعرفة والأكاديمية لم تتح لهم الفرصة لمعرفة الإسلام بشكل صحيح، ويودون إدخال النافع المفيد . إذا اقتنعوا بصحته .، من خلال المؤسسات والمراكز التي يتولون شئونها.

لذا وجب الاتصال بهم، وامتلاك القدرة على إحياء فطرتهم، وإثارة نزوعهم الديني، وتأصيله من الناحية الفكرية، ليدخلوا قضايا الإصلاح الفكري والثقافي إلى هذه المؤسسات [٣].

❁ ❁ ❁

(١)"إصلاح الفكر الإسلامي، بين القدرات والعقبات"، مرجع سابق، ص٥٥، ٥٦.

(٢) منهم د/ زكي نجيب محمود، ومن قبله العقاد.

(٣) "إصلاح الفكر الإسلامي"، مرجع سابق، ص٥٣، ٥٤، ٥٦.

المبحث الرابع: الإلمام بالسنن الاجتماعية، والإفادة منها في الدعوة والتربية

لقد عني القرآن الكريم عناية بالغة بلفت الأنظار، وتنبيه العقول إلى هذه السنن للانتفاع بها، وتلقي الدروس العملية منها، وقال تعالى في ذلك: ﮋﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞ ﮟﮠﮡﮊ [آل عمران: ١٣٧]. ولهذه السنن خصائص تميزها، منها:

(أ) الثبات، بحيث إنها لا تتبدل ولا تتحول.

(ب) العموم، فهي تتناول وتنطبق على جميع الناس.

والعارف بسنن الله في البشرية والتاريخ يتعلم من أخطاء الآخرين، ويكون له بهم عظة، ويقتبس مما عند الآخرين من خير [1].

لقد أحسن الله تبارك وتعالى كل شيء خلقه، وخلق هذا الكون، وفق نظام وسنن مطردة، واطراد السنن في الحياة المادية ومعرفة الإنسان بها قد أعانه على الاستفادة كثيرا مما في هذا الكون من قوى مادية.

وكما أن الله تبارك وتعالى جعل سننا مادية، تعين الإنسان على فهم أوجه الحياة المادية، واستخراج قوانين ثابتة تشكل الأساس في فهم الظواهر المادية والانطلاق منها، فقد أودع الله تبارك وتعالى الكون سننا تحكم حياة الناس والمجتمعات.

إن ذكر القرآن لقصص السابقين والأولين، والأمر بالاعتبار والاتعاظ بها دليل واضح أن هناك سننا تحكم حياة الناس، وأن الأمة إذا سلكت ما سلكه الأولون آلت إلى ما صاروا إليه.

إننا نجد ذلك في سورة الحشر، فبعد بيان القرآن قصة بني النضير وما أصابهم أتى الأمر بالاتعاظ،ﮋﯙﯚﯛﯜﮊ [الحشر: ٢]، وأمر الله بالسير في الأرض، ومعرفة مصائر من كذب وأعرض، ومصائر من آمن وأطاع، فبشأن المكذبين قال تعالى: ﮋﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿ ﮊ [محمد: ١٠]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، أما سير المؤمنين وضرورة تدبرها وتذكرها، فقد امتلأ القرآن بهذه السير، ومن الآيات المبينة لذلك قوله تعالى في قصة يونس مع قومه لما آمنوا: ﮋﭑﭒ ﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﮊ [يونس: ٩٨] [2].

والقرآن الكريم ينكر على المؤمنين اعتقادهم أن بإمكانهم تحقيق النصر، دون أن يصيبهم ما أصاب السابقين من قبلهم: ﮋﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﮊ [البقرة: ٢١٤].

(١) "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف"، مرجع سابق، ص١٠٦.
(٢) "تأملات في العمل الإسلامي"، مرجع سابق، ص٤٧.

ووجدنا النبي . ﷺ . يرشد الصحابة إلى التعرف على سنن من قبلنا، وطول صبرهم، وعظيم تضحياتهم، وثباتهم [١]، فقال لهم: "لقد كان من قبلكم، ليمشط بأمشاط الحديد، ما دون عظامه، من لحم وعصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب، من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله" [٢].

ومن أوجه عناية الدعاة بسنن الله في خلقه ما يلي:

١.ضرورة السعي بقوة للتعرف على هذه السنن، بل واستنباطها، وتفعيلها في واقعهم، ومن أعظم مصادر ذلك: القرآن الكريم، وقصصه عن الأولين والسابقين، والسنة النبوية وما حكاه النبي عن أخبار وأحوال السابقين، وكذا دراسة التاريخ في كل عصوره، دراسة واعية، بل دراسة الحاضر، فكم فيه من عبر.

٢.إعادة تقويم الدراسات الاجتماعية، والإنسانية على ضوء هذه السنن، والسعي لتفسير الظواهر الاجتماعية وفهمها من خلال سنن الله تعالى.

٣.إبراز هذه السنن أمام مجتمعات المسلمين، وتضمينها الخطاب الدعوي الموجه لهم.

٤.الانطلاق منها في رسم برامج التغيير والإصلاح، وأخذها بالاعتبار، والسير وفقها [٣].

فعلى الدعاة استخلاص العبر من الأحداث، وإعداد العدة لمتطلبات الإصلاح والدعوة، وأخذ أنفسهم بمبدأ (محاسبة النفس)،أو (نقد الذات)، حتى يستكملوا النقص، ويملأوا الفجوات، ويصححوا المسيرة، ويمضوا على وعي وبصيرة، بعيدين عن الغلو، والتنطع، بعدهم عن التضييع والتفريط، ومعهم الدليل الذي لا يخطئ: القرآن العظيم، والهادي الذي لا يضل: الرسول الكريم . ﷺ .[٤].

ومن ضعف البصيرة بالدين: ضعف البصيرة بالواقع والحياة، وبالتاريخ، وبسنن الله في الخلق، فتجد أحدنا يريد ما لا يكون، ويطلب ما لا يوجد، ويتخيل ما لا يقع، ويفهم الوقائع على غير حقيقتها، ويفسرها وفقا لأوهام رسخت في رأسه، لا أساس لها من سنن الله في خلقه، ولا من أحكامه في شرعه، فهو يريد أن يغير المجتمع كله: أفكاره ومشاعره، وتقاليده، وأخلاقه، وأنظمته: الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بوسائل وهمية، وأساليب ضعيفة لا تناسب ضخامة الواقع، مع توفر شجاعة، وجرأة وفدائية، لا تستكثر تضحية وإن غلت، ولا تهتم بالنتائج أيا كانت، مادامت ترى نفسها مخلصة لله!.

---

(١) "تأملات في العمل الإسلامي"، للأستاذ/ محمد الدويش، ص٤٧، ٤٨.

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ مَا لَقِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ مِنَ المُشْرِكِينَ بِمكَّةَ، (٥ / ٤٥)، حديث رقم (٣٨٥٢).

(٣) "تأملات في العمل الإسلامي"، مرجع سابق، ص ٤٨، ٤٩.

(٤) "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف"، مرجع سابق، ص٩.

ومن ثم، لا نستغرب اندفاع مثل هذا الشخص إلى أعمال وتصرفات جنونية، لا يرتضيها عقل ولا شرع، يؤذي بها نفسه وغيره ووطنه ولا يبالي ! [١].

من السنن المهمة: إيجاد البديل الصالح:

إن الداعية الفقيه هو الذي إن حارب شيئا، أو نهى عن شيء، أو أراد تغيير شيء، وهذا الشيء أثره عظيم في قلوب الناس، مستوطن في أعراضهم وعاداتهم، اجتهد في إيجاب البديل الإسلامي له.

إننا لا يمكن أن نعين الناس على التزام شريعتهم، ودينهم عبر الخطب المبكية المرققة للقلوب، والمواعظ التي تعتمد التحريم لكل شيء، والتحذير من كل ظاهرة تجتاح مجتمعنا المسلم، دون تقديم البديل الصالح لهم.

فتقديم البديل مبدأ قرآني أصيل، فما نهى عن شيء وترسخ في عادات الناس وأعرافهم إلا وأوجد له البديل، مثال ذلك، عندما نهى المؤمنين عن طاعة الذين كفروا، طلبا للعزة والمنعة، والنصرة، جاء لهم بالبديل الذي يجب أن يطاع، والناصر الذي يجب أن يستنصر به، والقوي الذي يجب أن يلجأ إليه، فقال لهم تعالى: ژٱٻٻٻٻپ پپپپٺٺٺٺٿٿٿ [آل عمران: ١٤٩، ١٥٠]، وهناك أمثلة أخرى [٢].

أما السنة، فإن هذا الهدي شائع في نواح كثيرة، منها، تشريع التزويج للشباب والفتيات، والدعوة إليه، ليتعافى المجتمع من بوائق الشهوة وثوراتها، ومن عجز عن النكاح كان البديل الصوم والعفة والتسامي بالنفس، فذلك وقاية وجنة ووجاء [٣].

فلا تكفي الخطب والموعظة في تحريم الزنا، والفاحشة، لذا جاء عن النبي . ﷺ . أنه قال: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء" [٤].

وقد رأينا بعض الصالحين من ولاة الأمر والساسة والأغنياء، قام بسنة مقبولة، مطلوبة، هي الإعانة على الزواج، بالإنفاق على تزويج الآلاف كل عام، حفظا للأعراض من الانتهاك، وتحصينا لهم من الفواحش، وإكثارا لسواد المسلمين، وتقوية لمجتمعاتهم.

---

(١) "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف"، مرجع سابق، ص١٠٠.

(٢) "دعوة الجماهير..."، ص١٢٩، ١٣٠، مرجع سابق.

(٣) المرجع نفسه، ص١٣٠.

(٤)صحيح البخاري، كتاب النكاح، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ، (٧ / ٣)، حديث رقم (٥٠٦٥)، و صحيح مسلم، كتاب النكاح، بَابُ اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، (٢ / ١٠١٩)، برقم (٢٤٨٥، ٢٤٨٦).

ومن إيجاد البديل، تشريع النبي . ﷺ . يومين للعيدين يستحب فيهما اللعب واللهو المباح، بديلا عن يومين للجاهلية كانوا يلعبون فيهما [١]، فقال النبي للصحابة في المدينة: "إن الله عز وجل قد أبدلكم بهما خيرا منهما، يوم الفطر ويوم النحر" [٢].

فلا يجدي كثيراً الاكتفاء بالمواعظ والخطب أو التأليف والكتب، والشيطان في كل يوم يزداد تفننا وتطويرا في أساليب الإغواء والتضليل لأفراد الأمة.

إن الحل الأنجح، والعلاج الأنفع، والتغيير الأصلح يكون عبر البدائل، نقدم لهم البديل الصالح، لنهدم به الباطل في كل ركن، فيتراجع ويزهق!، في المجال الاقتصادي، نقدم ونوجد المصارف والمعاملات والشركات الإسلامية في كل المجالات، وكذا في الإعلام والفنون والترفيه، وسائر أنشطة ومجالات الحياة.

ولن يكون فقيهاَ من يعتمد النهي المجرد عن البديل، مهما أخلص واجتهد [٣]، لذا رأينا الإمام ابن القيم ينبه إلى ضرورة إرفاق البديل عند النهي والتحريم، فقال: « إذا رأيت أهل الفجور والفسق يلعبون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة، إلا إذا نقلتهم إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله، كرمي النشاب وسباق الخيل، ونحو ذلك، وكما إذا كان الرجل مشتغلا بكتب المجون ونحوها وخفت عليه من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر، فدعه وكتبه الأولى، وهذا باب واسع »[٤].

ومن الضروري بيان أن الشرع لم يأت هادما لكل أمر جاهلي، بل هدم كل أمر فاسد، أو مغلوب على الفساد، مع إقرار النافع الصالح، كالقراض، وتقدير الدية، وضربهما على العاقلة، وإلحاق الولد بالقافة، والوقوف بالمشعر الحرام، والقسامة والمضاربة.... إلخ.

لذا علينا إيجاد البدائل الخيرة للأوضاع الفاسقة الفاجرة، ويجب أن يكون البديل الإسلامي هو الأفضل والأنفع والأوفق لمقاصد الشريعة، مع فقه غايات البديل ومواطنه ! [٥].

---

(١) "دعوة الجماهير..."، ص١٣١، مرجع سابق.

(٢)سنن أبي داود ،كتاب الصلاة، بَابُ صَلَاةِ الْعِيدَيْنِ، (١ / ٢٩٥) ، حديث رقم (٢١٣٤).

(٣) د/ عبد الله الزبير عبد الرحمن، "دعوة الجماهير، مكونات الخطاب، ووسائل التسديد"، ص ١٣٣-١٣٤، ١٢٦-١٢٩.

(٤) ابن القيم، "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، ج٣، ص٥.

(٥) "دعوة الجماهير مكونات الخطاب، ووسائل التسديد"، ص١٣٦.

المبحث الخامس: الوسطيـــة وتــرك النزاع في الفـــــروع

إن من الضروري تمتع الدعاة بالفهم الوسطي، الذي يقوم على التوازن والاعتدال، في فهم الدين والحياة، والعمل لتمكين الدين، هذا الفهم الوسطي يرتكز على مبادئ معينة، تتمثل فيما يلي:

أ) فقه الدين فقها يتميز بالشمول والاتزان والعمق.

ب) فقه واقع الحياة، دون تهوين ولا تهويل: واقع المسلمين، وواقع أعدائهم.

ج) فقه سنن الله وقوانينه التي لا تتبدل، وخصوصا سنن الاجتماع البشري.

د) فقه مقاصد الشريعة، وعدم الجمود على ظواهرها.

هـ) فقه الأولويات، وهو مرتبط بفقه الموازنات.

و) فقه الاختلاف وآدابه، مع الفصائل الإسلامية المختلفة.

ز) الجمع بين الأصالة والمعاصرة، والموازنة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر.

ح) الإيمان بأن التغيير الفكري والنفسي والخلقي أساس كل تغيير حضاري.

ط) تقديم الإسلام مشروعا حضاريا متكاملا، لبعث الأمة، وإنقاذ البشرية من الفلسفات المادية المعاصرة.

ي) اتخاذ منهج التيسير في الفتوى، والتبشير في الدعوة.

ك) ضرورة إبراز القيم الاجتماعية والسياسية في الإسلام، مثل: الحرية والكرامة، والشورى، والعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان.

ل) الحوار بالحسنى مع الآخر أي مع المخالفين من غير المسلمين، أو من المسلمين المغزوين عقليا، والمهزومين روحيا.

م) اتخاذ الجهاد سبيلا للدفاع عن حرمات المسلمين، وديار الإسلام [1].

إن بعض المتدينين عامة، والدعاة خاصة نراهم يركزون على بعض الأعمال والآداب التي تتعلق بالظاهر أكثر من الباطن، وبالشكل أكثر من الجوهر، مثل: تقصير الثوب، وإحفاء الشوارب، وإعفاء اللحى، وصورة حجاب المرأة وزيها، وطريقة وضع اليدين أو القدمين أثناء القيام في الصلاة....، إلى غير ذلك من الأمور التي تتعلق بالصورة والشكل، أكثر مما تتعلق بالجوهر والروح، فهذه الأمور – مهما يكن وضعها – لا تأخذ الأولوية في دين الله تعالى، وفي التربية والدعوة [2] .

هذا، في حين أن هؤلاء الذين يدققون في تلك الأمور الظاهرة وأمثالها، لا يكترثون بأمور أشد خطرا، وأعمق أثرا، مثل: بر الوالدين، وصلة الأرحام، ورعاية الحقوق، وإتقان العمل، وإعطاء كل ذي

---

(١) د/ يوسف القرضاوي، "في فقه الأولويات..."، ص١٩٠، ١٩١.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٩٩ .

حقه حقه، والتورع عن المحرمات اليقينية....، إلى غير ذلك مما وصف الله به المؤمنين في القرآن الكريم، مثل أوائل سورة الأنفال، وأواخر سورة الفرقان، وآداب سورة الحجرات... وغيرها [١].

ومن دلائل عدم الرسوخ في العلم، ومن مظاهر ضعف البصيرة بالدين، الاشتغال بالمسائل الجزئية والفرعية عن القضايا الكبرى التي تتعلق بهوية الأمة ومصيرها، وفي الوقت الذي تزحف فيه العلمانية الشرسة، والصهيونية والصليبية، وغيرها من القوى المعادية للإسلام، لالتهام بلادنا، وتدميرها بكل الطرق.

وهذه المعارك الجانبية الدائرة حول قضايا اجتهادية، يقبل الاختلاف فيها، تثمر، وأثمرت انقساما مخيفا بين فئات المسلمين، وتباعدا بين القلوب، وتشتيتا للجهود.... إلخ [٢].

وإن من الأخطار الكبيرة: اشتغال الناس بالسنن والتطوعات من الصلاة والصيام والحج عن الفرائض.

نرى ذلك من بعض المتدينين، حين يقوم أحدهم الليل، ثم يذهب إلى عمله الذي يتقاضى عليه أجرا، متعبا، كليل القوة، فلا يؤدي واجبه المناط به، ولو أدرك أن إحسان العمل وإتقانه فريضة، كما قال النبي . ﷺ .: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء" [٣]. وأن التفريط فيه خيانة للأمانة، وأكل للمال بالباطل؛ لوفر على نفسه قيام ليلة، لأنه ليس أكثر من نفل، لم يلزمه الله به ولا رسوله [٤].

وهناك صور عديدة لهذا الخلل، مثل: حج التطوع، وعمرة التطوع، أكثر من مرات عديدة، قد تتجاوز العشرين، وربما الأربعين، وينفق الملايين من الأموال في هذه التطوعات، في حين يموت الألوف من المسلمين جوعا في بعض الأقطار المسلمة، وآخرون يتعرضون للإبادة الجماعية، كما في فلسطين وكشمير وغيرهما، وآخرون يتعرضون للغزو التنصيري، ولا يجدون مدرسة لتعليمهم، ولا مسجدا لصلاتهم، ولا دارا للرعاية، ولا مستوصفا للعلاج... إلخ.

وكل هؤلاء المسلمين في أمس الحاجة إلى أموال إخوانهم لإطعام الجائع، ومداواة المرضى، ورعاية الشيخ والأرملة واليتيم، وشراء السلاح الضروري للدفاع عن النفس، ولو فقه من اشتغلوا بالسنن عن الفرائض دينهم، وعرفوا شيئا من فقه الأولويات، لقدموا إنقاذ إخوانهم المسلمين على استمتاعهم الروحي بالحج أو العمرة [٥].

---

(١) "في فقه الأولويات...."، ص٩٩. و "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف"، ص٧٣، ٧٤. و "البدائل المشروعة.... "د/ سالم البيانوني، ص٤٦، ٤٧، ١٣١.

(٢) د/ القرضاوي، "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف" ط٢، دار الوفاء، ١٩٩٢م، ص٧٢، ٧٣. و "مشكلات في طريق الحياة الإسلامية"، ص٣٥.

(٣) صحيح مسلم ، كِتَابُ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ ، بَابُ الْأَمْرِ بِإِحْسَانِ الذَّبْحِ وَالْقَتْلِ، وَتَحْدِيدِ الشَّفْرَةِ ، (٣ / ١٥٤٨)، رقم: ١٩٥٥.

(٤) "في فقه الأولويات..."، ص١١٧، ١١٨.

(٥) المرجع نفسه، ص١١٨.

ولو تدبر هؤلاء لعلموا أن الاستمتاع بإنقاذ المسلمين أعمق وأعظم وألذ من استمتاع فردي عارض، قد يشوبه بعض التظاهر أو الربا، وصاحبه لا يشعر!!.

وصدق من قال [1]: « لا يقبل تنفل من أهمل الفرض، ولا تفضل من ترك العدل، بل لا يصح تعاطي الفضل إلا بعد العدل، فإن العدل فعل ما يجب، والفضل الزيادة على ما يجب...، فمن شغله الفرض عن الفضل فمعذور، ومن شغله الفضل عن الفرض فمغرور ».

❁ ❁ ❁

(١) انظر "في فقه الأولويات...."، ص١١٨.

المبحث السادس: العنايـــة بإقامــة فروض الكفايــة في الأمـــة

إن فرض العين قد يتناول أركان العبادات من صلاة وزكاة، وأركان الأخلاق، من صدق وحياء، وقد يتناول ترك الكبائر من ربا وخنا، وهذه أمور ترتبط عادة بالضمير الفردي والسلوك الخاص.

أما فرض الكفاية فإنه يتصل بحراسة الأمن، والقضاء بين الناس، والقيام بشتى المناصب، وإجادة الفنون والصناعات التي ينهض بها العمران وتحيا عليها الأمة....، وغير ذلك من الشؤون المهمة.

ويتساءل الشيخ الغزالي: فهل فرض الكفاية – وذاك خطره – يكفي في وصفه أن يقال في حقه: إذا قام به البعض سقط عن الباقين؟! (١).

وبين الشيخ أن المجتمع الإنساني كيان متشابك المصالح، والناس ما يستغنى بعضهم عن البعض الآخر، والأجهزة الإدارية والثقافية والصحية والاقتصادية والعسكرية في بنيان الأمة تشبه الأجهزة العصبية والهضمية والتنفسية والدورية في الجسد البشري.

ومن هنا فإن فروض العين والكفاية تتداخل في الحياة العامة تداخلا تاما، ويتوزع الاهتمام الديني عليها كله، فلا يدع شيئا منها.

وفروض الكفاية – غالبا – تأخذ من الوقت أكثر مما تأخذ فروض العين، ولعلها تستغرق أعمار الناس، وذلك هو الطريق لإرضاء الله، وحماية الأمة، والحفاظ على الدين، وإنشاء دنيا، تصونه وتنميه (٢).

وهذا التقسيم إلى عيني وكفائي يأتي في السنة أيضًا، كالواجب، فسنة العين كسنن الوضوء، والأضحية وغير ذلك، وسنة الكفاية كتشميت العاطس، وابتداء السلام، والأذان والإقامة للجماعة الواحدة.

وفروض العين . على العموم . تتعلق بالعبادات التي يعود فيها النفع على الشخص، ولا تجوز فيها النيابة، أما فروض الكفاية فتتعلق . في أكثرها . بمصالح المجتمع، والجماعة (٣).

فعلينا أن نهتم بالواجب الكفائي، كما نهتم بالواجب العيني، ونحرص على حسن الإنجاز فيهما معا، لكن الملاحظ أن فروض الكفاية أصابها نوع من إهمال، والتقصير، فتعطلت كثير من هذه الفروض الكفائية، بسبب العناية بما هو شخصي، وإهمال ما هو اجتماعي (٤).

---

(١) "مشكلات في طريق الحياة الإسلامية"، مرجع سابق، ص٢٧، ٢٨.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٨، ٢٩.

(٣) الإمام الأسنوي، جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن "التمهيد في تخريج الفروع على الأصول"، تحقيق محمد حسن منيتو، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٤م، ص٧٥.

(٤) محمد الوكيلي، "فقه الأولويات، دراسة في الضوابط"، ط١، ١٩٩٧م، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة الرسائل الجامعية، رقم ٢٢، ص ٢٧٩ .

فهذا الحرص على النفع الشخصي موجود في بعض شرائح المجتمع الإسلامي، من قديم وحديث، لذا وجب على كل مسلم إحياء الفروض الكفائية في نفسه، وذلك عن طريق:

أ – حمل همها، إذ من لم يهتم بأمور المسلمين ليس منهم.

ب – إعطاء شيء من وقته لها، وعلى رأسها الدعوة للإسلام، والتمكين له، ثم بالإحسان فيما يسند إليه من أعمال [1].

وذكر الشيخ الغزالي حادثة تبين الاستهانة بالفروض الكفائية، وجهل كثير من المسلمين بفقه الأوليات، فقد قال لرجل رغب في الحج نافلة: أدلك على عمل أفضل، أعط فلانا المتخرج من كلية الصيدلة، تكاليف حجك، ليفتتح صيدلية، ويبدأ حياة تنفعه، وتنفع أمته، والمسلمون فقراء إلى صيدليات إسلامية، ولك عند الله ثواب أكبر من حجك!

فرد الرجل دهشا، وصاح: أهذا كلام يقال!، فقال الإمام له: إنك إذا أطعتني أقمت فريضة، وسددت ثغرة، وشاركت في جهاد جليل الثمرة، بدل هذه النافلة التي تبغي، فقال الرجل مستغربا: أدع الحج، وأعين على فتح صيدلية، ما هذا؟!.

واستنكر الإمام تفريق بعض المتدينين بين صور العبادات المأثورة، وأداء الأعمال المدنية، الأولى عندهم دين، والأخرى ليست عبادة . في نظرهم . إلا على سبيل التجوز، وذكر الشيخ أنه رأى بعضهم جالسا على مكتبه في الوظيفة، بادي السآمة، يجيئه الناس لحاجاتهم، فيرجئ من يشاء، ويهمل ما يشاء، حتى اقترب وقت الظهر، فشرع يستعد له قبل الأوان، فقال له الإمام: إن ما تقوم عنه ليس بأهون مما تقوم له، ونشاطك في إنجاز مصالح الناس في أخصر وقت، وعلى أحسن وجه دين، وهو واجب كالصلاة والصيام، فرد الموظف: إننا نستعد للصلاة المكتوبة، وسنؤدي عملنا بعد أداء حق الله، فرد الإمام عليه: جميل أن تحرص على الصلاة في وقتها، ولا عليك أن تصليها أول الوقت أو وسطه، وخير لك أن تعجل بإنجاز عمل هذا القادم من بلده، القلق على مصلحته، خاصة وأن الصلاة تربي الإنسان على الشعور بالواجب، ولا تستغرق من الزمن أكثر من بضع دقائق معدودة.

ونحن لا نهون من شأن الصلاة المكتوبة وأدائها على وقتها.....، أما عد الأعمال العامة شيئا تافها، أو شيئا يقبل فيه العبث والتسويف فهذا تضييع لفرض، يحرم تضييعه!! [2].

وذكر الشيخ الغزالي أنه رأى صيدليا مشغولا يبحث قضية "صلاة تحية المسجد"، في أثناء خطبة الجمعة، ومهتما بترجيح مذهب على مذهب، فقال له الإمام: لما لا تنصر الإسلام في ميدانك، وتدع هذا الموضوع لأهله.

---

(١) "فقه الأولويات، دراسة في الضوابط"، مرجع سابق، ص٢٧٩، ٢٨٠. و "مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي"، مرجع سابق، ص٢٠١.

(٢) "مشكلات في طريق الحياة الإسلامية"، مرجع سابق، ص٣٠، ٣٢.

إن الإسلام في ميدان الدواء مهزوم، ولو أراد أعداء الإسلام أن يسمموا أمته في هذا الميدان لفعلوا، ولعجزتم عن مقاومتهم.

أفما كان الأولى بك وبإخوانك أن تصنعوا شيئا لدينكم في ميدان خلا منه، بدل الدخول في موازنة بين الشافعي ومالك!! .

وسأل طالب بأحد أقسام الكيمياء فضيلة الإمام الغزالي عن موضوع شائك في علم الكلام، فنصحه بالتعمق في علوم الكيمياء، وقال له: « هذا أجدى على الإسلام من انكبابك على بعض قراءات دينية تخصصية، ليست مطلوبة منك، وحسبك من فقه الدين ما ينطبع في فؤادك، وأنت تقرأ القرآن الكريم، ثم سر وراء نبيك البطل، وتعلم منه كيف غير الدنيا باسم الله ».

وختم نصيحته بقوله: « إننا فقراء إلى النابغين في المادة التي تتعلمها، وأغنياء عن المشتغلين بالفلسفات الكلامية » [١].

❁ ❁ ❁

(١) المرجع نفسه، ص٢٥، ٢٦.

المبحث السابع: التركيز علــى بيان مقاصد الشريعة، وإبراز محاسن الإســلام

إن من الضروري العناية بفقه مقاصد الشريعة، وكلياتها وأسرارها، ونعني بذلك الحكم، والغايات والمصالح والأهداف الكلية، التي من أجلها شرع الله الأحكام، وفرض الفرائض، وأحل الحلال وحرم الحرام، وحد الحدود [١]، وفي ذلك قال العز بن عبد السلام: الشريعة كلها مصالح، إما تدرأ مفاسد، أو تجلب مصالح، فإن سمعت الله يقول: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾، فتأمل وصيته بعد ندائه، فلا تجد إلا خيرا يحثك عليه، أو شرا يزجرك عنه، أو جمعا بين الحث والزجر، وقد أبان في كتابه ما في بعض الأحكام من المفاسد حثا على اجتناب المفاسد وما في بعض الأحكام من المصالح، حثا على إتيان المصالح [٢]، وقد ثبت أن للشعائر التعبدية مقاصد وأهدافا أخلاقية واجتماعية، إلى جوار أهدافها الروحية، ومن باب أولى يثبت ذلك لسائر الأحكام، وخصوصا في شئون الأسرة والمجتمع والدولة.

ومن هذه المقاصد ما نص عليه القرآن والسنة صراحة، بأدوات التعليل، ومنها ما عرف باستقراء الأحكام الجزئية.

وهناك مقاصد جزئية لبعض الأحكام، ومقاصد كلية عامة.

فإقامة العدل والقسط، مقصد عام للشريعة، بل هو مقصد الرسالات السماوية جميعا، كما بينت ذلك آية سورة الحديد: ژﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚژ [الحديد: ٢٥] [٣].

وإشراك الناس بعدالة فيما أفاء الله عليهم، ورزقهم به من ثروات، مقصد عام، ولذا علل القرآن الكريم تشريع توزيع الفيء على الفئات الضعيفة، من اليتامى والمساكين وابن السبيل قبل غيرهم، بقوله تعالى: ژﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚژ [الحشر: ٧].

فمقاصد الشريعة تتسم بالشمول والتنوع، وهي مقاصد روحية أو دينية، يتبين ذلك من كون أول المقاصد والمصالح التي تسعى إليها الشريعة، هو: المحافظة على الدين، وهو ما يتضمن العقائد والعبادات، والدين هو جوهر الوجود وروح الحياة.

---

(١) د/ يوسف القرضاوي، "السنة، مصدرا للمعرفة والحضارة"، ط١، ١٩٩٧م، دار الشروق، ص٢٣٠، ٢٣١. وانظر د/نور الدين بن مختار الخادمي، "علم المقاصد الشرعية"، ط١ مكتبة العبيكان، ١٩٩٧م، ص١٣-١٧، وتعريفات متعددة لعلم المقاصد وشرح لها و "الاجتهاد المقاصدي...."، للدكتور، نور الدين الخادمي، كتاب الأمة، عدد ٦٦، رجب ١٤١٩هـ، ص٢٨، ٢٩.

(٢) العز بن عبد السلام، "قواعد الأحكام مصالح الأنام"، ط٢، ١٩٨٠م، دار الجيل – بيروت.

(٣) "السنة مصدرا للمعرفة والحضارة"، ١، ٢، ص١٢٣.

وهي . أيضًا . مقاصد أخلاقية، وقد بين الرسول . ﷺ . الهدف الأكبر من بعثته . بعد عبادة الله . بإتمام مكارم الأخلاق، فقال: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق [١]، إنها تسعى إلى تمكين هذه المكارم في النفوس، ومبادئ العدل والأمانة والتعاون واستهجانها الظلم والغدر والخيانة... إلخ.

وهي مقاصد إنسانية، لأنها تعمل على المحافظة على كل حرمات الإنسان، دمه وماله، وعرضه وعقله، كما تحافظ على كرامته وحريته.

وهي مقاصد اقتصادية، لأنها جعلت حفظ المال من المصالح والمقاصد الضرورية التي تجب العناية بها، والمحافظة عليها، بكل الوسائل الممكنة [٢].

إن كل مجالات الشريعة، يمكن فهم مصالحها وحكمها ومشروعيتها، بناء على قاعدة كون الشريعة قد انطوت على ما فيه مصالح الناس في العاجل والآجل، وأنها جاءت لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الرذائل إلى الفضائل، ومن فساد الأوضاع إلى صلاحها[٣].

ومقاصد الشريعة الإسلامية دائمة بدوام الشريعة، تعكس فلسفتها، وتعبر عن رؤيتها في الدين والمجتمع، وتكشف عن أهدافها وغاياتها، وهي تقنين لأوضاع الدين والحياة، وما يجب على الفرد والدولة أن يحرص عليه، ويلتزم به في الأمور الدينية والدنيوية [٤].

فدراسة المقاصد والحكم الشرعية والعناية بفقهها يحقق أغراضا متعددة، منها:

أ . إبراز علل التشريع وحكمه وأغراضه، ومراميه الجزئية والكلية، العامة والخاصة، في شتى مجالات الحياة، وفي مختلف أبواب الشريعة، وهذا الإبراز للحكم والمصالح يقوى إيمان المسلم بدينه وأحكام شريعته، ويثبت يقينه ويزيده.

ب . التقليل من الاختلاف، والنزاع الفقهي، والتعصب المذهبي وتدريب الأتباع على الإنصاف، وذلك باعتمادهم المقاصد في عملية بناء الحكم الشرعي، وتنسيق الآراء المختلفة، ودرء التعارض بينها [٥].

جـ . التوفيق بين خاصتي الأخذ بظاهر النص، والالتفات إلى روحه ومدلوله، على وجه لا يخل فيه المعنى بالنص، ولا بالعكس، لتجري الشريعة على نظام واحد، لا اختلاف فيه ولا تناقض.

---

(١)السنن الكبرى للبيهقي، كِتَابُ الشَّهَادَاتِ ، بَابُ: بَيَانُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِيهَا، (١٠ / ٣٢٣)، وانظر صحيح الجامع الصغير، (٢٣٤٩)، قال الألباني: صحيح.

(٢) "السنة، مصدرا للمعرفة والحضارة"، مرجع سابق، ص٢٣١، ٢٣٢. وانظر "الاجتهاد المقاصدي"، د/ نور الدين الخادمي، ص٢٩، ٣٠.

(٣) د/ نور الدين الخادمي، "الاجتهاد المقاصدي، حجيته، ضوابطه، مجالاته" جـ٢، ص٩٠.

(٤) د/ محمد الشحات الجندي، "التجديدات في المقاصد"، مجلة الأزهر، عدد صفر ١٤٣٢هـ، يناير ٢٠١١م، السنة ٨٤، ص ٢١٠-٢١١.

(٥) د/ نور الدين مختار الخادمي، "علم المقاصد الشرعية"، ص٥١، مرجع سابق.

د . دراسة وفقه المقاصد تعين المكلف على القيام بالتكليف، والامتثال على أحسن الوجوه وأتمها، ذلك أن المكلف إذا علم . مثلاً . أن مقاصد الحج الكبرى التأدب الكامل مع الناس، والتحلي بأخلاق الإسلام العليا، إذا علم ذلك، فإنه سيعمل جاهدا، ومجتهدا على تحصيل ذلك المقصد، وتحقيقه، والحرص على التقرب إلى الله بتنفيذه، كما يحرص على أداء الطواف والوقوف بعرفة وإقامة ذكر الله.... إلخ [١].

وفي هذا المعنى قال الإمام ولي الله الدهلوي: « إن طالب الإحسان رضي الله عنهماالمسلم المبتغى إحسان عبادة ربه} إذا اجتهد في الطاعات وهو يعرف وجه مشروعيتها، ويقيد نفسه بالمحافظة على أرواحها وأنوارها نفعه قليلها، وكان أبعد من أن يخبط خبط شعواء، ولهذا المعنى اعتنى الإمام الغزالي في كتب السلوك بتعريف أسرار العبادات »[٢].

وصدق الآمدي حين ذكر أن معرفة المقاصد تؤدي في الأغلب الأعم إلى "سهولة الانقياد، وسرعة القبول"[٣]، لأن معرفة المقاصد الخيرة، والوقوف على ما يرضى الله، ويعلى شأن الإسلام، ويكسب السعادة، ويبرز حكمة التشريع، كل ذلك من شأنه إعلاء الهمم، وتذكية الحماس، وتنشيط الأعمال، وإخراج مكنون التضحية والفداء، ويحفز على الصبر، ومواجهة العقبات [٤].

هـ . فالداعية المدرك لمقاصد الشريعة يخدم دعوة الله، حين يقدمها على بصيرة وحكمة، تحببها للنفوس، وتدخل على المخاطبين، من خلال تعليل الأمور، وبيان ما فيها من منافع ومضار، وتجدد الفكر، وتسدده، وتنير طريق العقل، فإذا هو مبصر، يدرك ما يأتي وما يذر، فيكون عقلا منظما، ومرتبا، بميزان مضبوط، يعمل بالقسط في المنافع والمضار [٥].

و . حرص المسلم على تمثلها في نفسه على وجه تكون فيه مقاصده الشخصية تبعا لمقاصد الشرع، واندفاعه إلى تحقيقها في الواقع، تجنبه للمقاصد المضادة لها.

ز . اهتداؤه إلى الحكم الشرعي الصحيح في المسائل المتشابهة عليه، واستيعابه لكثير من اجتهادات العلماء والأسلاف، والقدرة على الترجيح بين الأقوال المختلفة في المسألة الواحدة.

---

(١) المرجع نفسه، ص٥٢.

(٢) ولي الله الدهلوي، "حجة الله البالغة" اعتني به محمد طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت، جـ١، ط٢، ٢٠٠٤م، ص٢٤. و"نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور"، ص٥٢٤.

(٣) الآمدي، "الإحكام في أصول الأحكام"، جـ٤، ص٢٧٢.

(٤) محمد بولوز، "تربية ملكة الاجتهاد من خلال بداية المجتهد"، لابن رشد، ص٨٥١.

(٥) المرجع نفسه، ص٨٥٢.

ح . تقبل المنصفين لدين الإسلام إذا ما تفهموا مقاصده، وتلاشي كثير من الشبهات المثارة حول الإسلام [1].

إن فقه المقاصد له مهمة عظيمة في تشكيل العقل المسلم بشكل عام، وإعادة بنائه وتفعيل حراكه الاجتماعي، وتأصيل التفكير الاستراتيجي الذي يهتم بالتخطيط، والفكر قبل الفعل، ويفحص المقدمات بدقة، ويدرس النتائج والتداعيات المترتبة عليها، ويمتلك القدرة والمرونة على المتابعة والمراجعة للنواتج، والاكتشاف لمواطن الخلل، ويحدد أسباب القصور عن إدراك النتائج، ومواطن التقصير، إنه فقه يكتشف الطاقات، ويضع لها الخطة والهندسة المناسبة، ويحدد الأهداف، المرحلية والاستراتيجية، والبرامج، والوسائل والمسؤوليات... إلخ.

لقد حقق العقل المقاصدي التحول من عقلية التلقين والتلقي إلى عقلية التفكير، والاستنتاج، والاستدلال، والاستقراء والتحليل والنقد، والموازنة، والاستشراف المستقبلي، وعدم القبول لأي فكر أو اجتهاد، بغير سلطان، أو بغير برهان، تحت شعار « هاتوا برهانكم ».

إنه عقل يحسن التعامل مع الأسباب والمقدمات، والتسخير للسنن، ويمتلك ناصية سنة المدافعة، فيستطيع مدافعة قدر بقدر أحب إلى الله. ويدفع صاحبه إلى التقاط الفرصة التاريخية، والإفادة من التجربة، ويحمي من الإحباط، والخلط بين الإمكانيات، والأمنيات....

فيوجد القدرة على الربط بين الاستطاعة والحكم الشرعي، المناسب للحركة في هذه المرحلة، والهدف الممكن تحقيقه في ضوء هذه الاستطاعة، تنفيذا لقوله تعالى: ﮋ ﮊ ﮋ [التغابن: ١٦].

وبذلك يتحقق الفقه المطلوب لتنزيل الأحكام الشرعية على الواقع، ويحمي العمل الإسلامي من كثير من المجازفات والعشوائية، ويخلص من الحفر وسوء التقدير، وهدر التضحيات. [2]

إنه يخلص العقل المسلم من الفوضى، وانفلات الفقه والمعيار في التعامل مع الأحكام الشرعية، ويمكنه من حسن اختيار وتقدير الموقع المناسب للاقتداء والتأسي من مسيرة النبوة، والأحكام المناسبة للمرحلة والحالة التي عليها الاستطاعة، فلا يصاب بالخسران والخيبة والإحباط، لعدم استكمال تنزيل جميع الأحكام على جميع المجالات، بل يطمئن إلى أنه يطبق كل الأحكام الشرعية المناسبة للحالة والواقع والإمكانات، فهو بذلك مطبق للشريعة، متق لله بقدر استطاعته،

---

(١) انظر دراسة بعنوان: "محاسن مقاصد الإسلام، دراسة منهجية شاملة لمحاسن ومقاصد الإسلام في ضوء النقل والعقل"، بموقع مجلس النشر العلمي، بالانترنت.

(٢) الاجتهاد المقاصدي، حجيته وضوابطه، ومجالاته، جـ٢، ص١٠٩، مرجع سابق.

وهذا التطبيق للممكن من الشريعة هو السبيل للتحضير ،والتنمية للإمكانات، والاستطاعات، للارتقاء من الحسن للأحسن، ومن الممكن إلى الصعب الذي يصبح ممكنا... وهكذا. [١]

فبناء العقل المقاصدي ينعكس عطاؤه على جميع جوانب الحياة الفردية، والاجتماعية، ويحقق الانسجام بين قوانين الكون ونواميس الطبيعة وسنن الله في الأنفس، "أنه الفقه الحضاري"، الذي يستغرق شعب المعرفة جميعا، ويمتد لآفاق الحياة جميعا، بحيث يستوعب الوحي، كإطار مرجعي، وضابط منهجي، ويستنفر العقل، ويشحذ فاعليته، كوسيلة لفهم الوحي، وفهم الواقع.

والعقل المقاصدي يبنيه القرآن والسنة، فينطلق من الوحي، ويرتكز على التفكير، ويتوجه صوب الفطرة الإنسانية، ويستخدم أسلوب البيان والبرهان، ويوثق طروحاته بشهادة الواقع، ويعتبر من التاريخ، ومصائر الأمم، بسبب فساد تعاطيها للأسباب.

إن الفقه والاجتهاد المقاصدي يبني العقل النضيج، ويحقق مقاصد الدين، وتطبيق أحكام الشريعة، ويقوم مسالك الناس بقيم الشرع، ويمكن الإيمان من النفس، ويعين على الالتزام بمقتضياته في الواقع، وحماية المجتمع من العطالة والهدر.... إلخ.

فالأخذ بالعمل المقاصدي بمقداره وحدوده، ضرورة دعوية بشرط التوسط والاعتدال، من غير الوقوع في تضييع النصوص، والضوابط، والشروط الشرعية المقررة، ومن غير الوقوع في ما وقع فيه غلاة الظاهرية والحرفية، الذين أهدروا الأقيسة والتعليل، وألغوا من دائرة الاجتهاد مصالح الخلق، ومراعاة الأعراف والتطور، واختلاف البيئات، والأزمان والظروف، وما يتعلق بالوقائع والنصوص من حيثيات وقرائن وأمارات وملابسات، وغير ذلك مما يتوقف عليه الاجتهاد الشرعي الصحيح [٢].

إن الاتجاه الوسط، اتجاه متوازن، معتدل، يجمع بين اتباع النصوص ورعاية مقاصد الشريعة، فلا يعارض الكلي بالجزئي، ولا القطعي بالظني، ويراعى مصالح البشر، بشرط ألا تعارض نصا صحيح الثبوت، صريح الدلالة، ولا قاعدة شرعية مجمعا عليها، فهو يجمع بين محكمات الشرع ومقتضيات العصر [٣].

والعمل بالمقاصد يستلزم الملاءمة بين الثوابت والمتغيرات، وتنزيل الأمور الحادثة على الأصول الكلية، والمصادر العامة، وتطبيق النصوص والمقاصد على الفروع والمسائل والوقائع، إذ النصوص متناهية، والوقائع والحوادث، مما لا تتناهي، والمقاصد توابع للنصوص، تدور في فلكها، وتعكس مغزاها ومعناها، بما يجاوز الألفاظ والمباني إلى الغايات والمعاني.

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٠٩.

(٢) "الاجتهاد المقاصدي، حجيته، ضوابطه، مجالاته"، جـ٢، ص١٠٩، ١١١، مرجع سابق.

(٣) د/يوسف القرضاوي، "الاجتهاد المعاصر"، ص٩١، مرجع سابق.

وعلى فقيه المقاصد . لبلوغ هدفه في التعامل مع النوازل والمستجدات، أن يحيط علما بأسباب نزول النص وظروفه، من حيث الزمان والمكان، والأشخاص، والعلة التي أنبنى عليها، والغاية التي يستهدفها، والنطاق الذي يطبق فيه، فبذلك ينفتح له الطريق، لتوسيع مجال تطبيق النص، وتجديد العمل به، وحكم المصالح الحادثة [١].

وقد وجدنا الصحابة . رضوان الله عليهم . في فقههم وأعمالهم، يرعون مقاصد الشريعة بقوة، في قضائهم إذا قضوا، وفي تعليمهم إذا علموا، وفي فتاويهم إذا أفتوا، وتابعهم التابعون في ذلك الاهتمام، وتلك الرعاية، ووجدنا أئمة كبار بعدهم يؤكدون على هذا الأمر [٢]، منهم ابن القيم الذي بين أن «الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد، . في المعاش والمعاد .، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها.

فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة في شيء.... »[٣].

إن تجديد أمر الدين يتحقق بامتلاك الفقه للنص، والقدرة على التعامل مع قيم الكتاب والسنة، من خلال مشكلات الإنسان والمجتمع، وقضاياه، وإيجاد الحلول الشرعية التي تتلاءم مع هذا الواقع في ضوء إمكاناته واستطاعاته، وتقديم الأوعية الشرعية لحركة الحياة، وعدم الاقتصار على الإحساس بالمشكلات دون القدرة على إدراكها، وكيفية التعامل معها [٤].

لذا وجدنا معظم فقهاء الإصلاح والتجديد، بدأت مشروعاتهم في التغيير، من إعادة الاعتبار للفقه المقاصدي، بحيث ربطوه بمصالح الناس، وردم فجوة التخلف، وإعادة الاعتزاز بالشريعة، والالتزام بأحكامها.

فوجدنا الإمام أبا حامد الغزالي يكتب في ذلك وينبه عليه، في عدة كتب له، منها: "إحياء علوم الدين"، وكتابه: "شفاء الغليل في بيان الشبه، ومسالك التعليل"، وكتب الإمام العز بن عبد السلام كتابه "قواعد الأحكام في مصالح الأنام"، أما الشاطبي فقد ألف كتابه "الموافقات في أصول الشريعة"، وغير هؤلاء من الأئمة الأعلام، كالشيخ شاه ولي الله الدهلوي، ثم الشيخ محمد عبده، الذي أعجب بكتاب "الموافقات" وأوصى به تلامذته ومحبيه، وقد تأثر بوصاياه تلك تلامذته، ومن بينهم شيخ علماء دمياط في عصره الشيخ عبد الله دراز، الذي قام بعد ذلك بدراسة الكتاب،

---

(١) د/ محمد الشحات الجندي، "التجديد في المقاصد"، مجلة الأزهر، عدد صفر ١٤٣٢هـ/ يناير٢٠١١م، ص٢١٠، ٢١٥.

(٢) "السنة مصدرا للمعرفة والحضارة"، مرجع سابق، وأمثلة عديدة على رعاية الصحابة والتابعين ومن بعدهم لتحقيق المقاصد الشرعية في الواقع، ص٢٣٢-٢٣٣.

(٣) الإمام ابن القيم، "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، ط دار السعادة، جـ٣، ص١٤.

(٤) د/ عبد الله الزبير عبد الرحمن، "من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق"، ص١٢، مرجع سابق .

والتعليق عليه ونشره....، ثم كان الشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الزيتونة، الذي ألف كتابه "مقاصد الشريعة الإسلامية"، بانيا على ما أسسه الشاطبي، وجاء بمحاولة تالية الزعيم المغربي الشيخ علال الفاسي، بكتابه "مقاصد الشريعة ومكارمها"، وكان لغير هؤلاء العلماء الكبار جهود كبيرة في هذا الشأن [١].

والعقل المقاصدي يرفض شعار العجزة والمعطلين، المتمثل في ادعائهم أنه « ليس في الإمكان أفضل مما كان »، إنه شعار من يسوغون لأنفسهم عطالتهم وسكونهم، وفهمهم المعوج لقيم الدين ومسألة القدر والحرية، والذي يستمع لهذه الشعار قد يتوهم أن من يردده يعرف بالضبط الإمكان الذي نمتلكه والأهداف التي يمكن أن نحققها،والنتائج التي انتهت إليها الأمور!!.

والمستقرئ لخطاب الكتاب والسنة ولمرحلة النبوة، ولتاريخ الأمم، يتيقن أنه بالإمكان دائما أفضل مما كان، وأن السبيل لذلك هو في التعرف على الإمكانات، ومحاولات حسن تسخيرها وسبل تطويرها، ومعرفة الأهداف التي يمكن تحقيقها من خلال هذه الإمكانات، وإدانة الواقع، ثم الإعداد والاجتهاد والفاعلية والمدافعة، فهذا هو سبيل النهوض والترقي، وهو منهاج النبوة وفهم خير القرون. [٢]

ويذكر د/ القرضاوي أن إحدى الآفات الكبرى التي تواجهها الساحة الإسلامية اليوم، وتعطي أسلحة فعالة للعلمانيين، والمتغربين، وتشوش على الفكر الإسلامي المستقيم، هي هذه الفئة التي ليس لها أدنى حس أو مراعاة لفقه المقاصد، وغايات الأحكام الشرعية وأسرارها، إذ هذه الفئة من المتدينين أسيرة الحرفية والشكلية، في العبادة، وتتسم بالخشونة في الدعوة، والضيق من الخلاف السائغ، والجزئية في الاهتمام بقضايا الإسلام، وإنشاء الجدل والمراء الكثير في العقيدة.

وقد رأينا . وما زلنا . منهم من يقيم الدنيا ويقعدها من أجل إبطال إخراج القيمة في زكاة الفطر، ويسفه ويبدع القائلين بجواز إخراجها نقدا، رغم أن الجواز رأي سيدنا عمر بن عبد العزيز، والإمام أبي حنيفة وأصحابه، وجماعة من سلف الأمة، ويحقق مصالح جمة للفقراء والمتصدقين، وييسر العبادة.... إلخ.

ووجدنا من يقول بإسقاط الزكاة عن «النقود الورقية»، وعدم جريان الربا فيها، مع أنها هي أثمان العصر، وأساس الثروات، وعماد التبادل [٣].

---

(١) د/ إسماعيل الحسني، نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، رسالة، من طبع المعهد العلمي للفكر الإسلامي، من سلسلة الرسائل الجامعية (١٥)، عام ١٩٩٥م، ص١٤-١٦، وموضوع "الفكر المقاصدي عند الأصوليين"، ص٣٩-٩٠.

(٢) الاجتهاد المقاصدي ....، جـ٢، ص١١١، مرجع سابق.

(٣) "السنة مصدرا للمعرفة والحضارة"، مرجع سابق، ص٢٣٣، ٢٣٤. وانظر "فقه الزكاة"، د/ القرضاوي، جـ٢، ص٨٠٨. و "الاجتهاد المقاصدي"، جـ٢، ص١٣٥-١٣٦، مرجع سابق.

المبحث الثامن: حســن عرض حقائق الإســلام ومحاسنـــــه

إن التعريف بالإسلام ينبغي أن يتجه إلى الحقائق الذاتية والعناصر المهمة، إن الناس يريدون وصفا للعقل الإسلامي،والضمير الإسلامي،والحكم الإسلامي، يريدون أن يعرفوا الأسرة كما يبينها الإسلام، والدنيا كما ينشدها الإسلام، وموازين العدالة كما ينصبها الإسلام [١].

وبين الشيخ الغزالي أن القضايا الدينية تدرس "مفردات مفكوكة"، أو أجزاء منفصلة فمثلا، هناك باب للنكاح، وآخر للطلاق، وآخر للحضانة، وآخر للمواريث، أبواب تعطي تصورات سليمة، أو أقرب إلى السلامة، عن الأحكام الشرعية.

هذه الأبواب جميعها يلمها عنوان محدد، هو نظام الأسرة، ولو تم استصحاب هذا العنوان، وجعله المحور الذي تدور عليه البحوث الشرعية، كان خيرا، ونتوءات كثيرة سيضبطها الإطار الثابت، وحكم مقصودة ستظهر، ولغو متداول سيختفي.

وصدق الشيخ حين قال: "فرق كبير بين عرض السيارة في شكلها العام، وعرض السيارات إطارات وأجهزة، وآلات، ومصابيح ومقاعد"! [٢].

ومع عنوان نظام الأسرة يمكن إحكام الحديث عن الإرادة الحرة، والولاية والكفاءة، والمهر، والأولاد والنفقات، كما يمكن الموازنة الرشيدة بين الطلاق السني والبدعي، والنظر في الإشهاد على الطلاق والرجعة، كما يمكن التحقيق العلمي في الوصايا للوارث، ولغير الوارث.

والاهتداء إلى محور ثابت لجملة من الأحكام المبعثرة أفضل من إفراد كل حكم بنظرة خاصة، لا تأخذ في الاعتبار صلته بغيره.

ونفس الأمر مع نظام الحكم، واختيار ولي الأمر، وقضية الشورى، وأهل الحل والعقد، أو أهل الذكر، وحراسة الحق، والتواصي به....

فهذه العناصر كلها تدرس مبعثرة، مع أنها جميعا معالم الحكم الإسلامي، ومحور علاقة الأمة بالدولة، ونشأ عن بعثرتها غموض في فهم وظيفة الدولة، وقصور في فهم كل عنصر على حدة، ووجد من يفهم الشورى داخل إطار الاستبداد الفردي، ومن يفهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قدرة على إلقاء عظة، ومن يتصور حراسة الحق لا تعدو النكير على بعض البدع؟!.

وذكر الشيخ الغزالي أن دراستنا لمئات النصوص من الكتاب والسنة خضعت لهذه الرؤية الجانبية المبتورة، ومن ثم تخرجنا غير كاملي التسليح في مواجهة الغزو الثقافي الذكي، الذي قدم برامج جيدة التصنيف والترتيب، سريعة في تلبية التقدم الحديث !!

---

(١) "مشكلات في طريق الحياة الإسلامية"، ص٦١، مرجع سابق.

(٢) "مستقبل الإسلام خارج أرضه"، محمد الغزالي ، ص١٣٤، ١٣٥، دار نهضة مصر- الطبعة الأولي.

ولهذا سر الشيخ بوضع إعلان إسلامي عالمي لحقوق الإنسان، استند في مواده كلها على نصوص بينة من كتاب الله وسنة رسوله . ﷺ . [١].

ومن البصيرة في الدعوة أن يركز الداعية على أسلوب عرض محاسن الإسلام، قبل تصديه لرد الشبهات المثارة حوله، وإذا احتاج الداعية إلى دحض شبهة أو دفع تساؤل، كان ذلك منه تبعا لدعوته إليه، مجهزًا على الشبهة.

فإذا عرضت محاسن الإسلام ومزاياه عرضا حسنا آسرا مقنعا، تلاشت أمام هذا العرض الشبهات المثارة تلقائيا، ولم يعبأ بها أحد، لأن الشبهات لا تفعل فعلها إلا حيث تخفى المحاسن على الناس، أو يلبس الحق بالباطل.

ومن الخطأ أن يبدأ الداعي دعوته إلى شيء، بمناقشة الشبهات المثارة حوله أولاً، حيث يجعل ما يدعو إليه في موقف ضعيف، وكأنه متهم في قفص، يريد أن يدافع عنه.

ومن الضروري كذلك تعرف الداعية على منشأ الشبهات ودوافعها قبل أن يشغل بمناقشتها ودحضها، وأن يعرف الأجواء التي تنتشر فيها، والأرض التي تتولد منها، قبل متابعتها شبهة شبهة، ويضيع وقته في ملاحقة أمور لا تجف منابعها، ولا ينتهي حصرها [٢].

إن تفهم محاسن الإسلام عامة، ومحاسن مقاصده خاصة، ضرورة دينية، وحاجة دعوية.

أما كونه ضرورة دينية، فلأنه بالفهم الصحيح للإسلام يستقيم سلوك المسلم، ويحرص على العمل بهديه.

وأما كونه حاجة دعوية، فلأنه بقدر تفهم محاسن الإسلام، وإحسان عرضها، يقبل الناس على الإسلام، ويتمسكون به وبأحكامه [٣].

ومن الواجب توفر القدرة لدى الداعية على التعريف بخصائص الإسلام العامة، ووصفه الإجمالي، وقواعده الكلية، وتتبع ما كان من مواقف المسلمين خلال التاريخ، اقترابا من أحكام الشرع وآداب الإيمان، وابتعادا عنهما، مع إسقاط ذلك كله في الواقع، وتحليل حاضر العالم الإسلامي، وتفسيره من منطلق الموازين الشرعية، ومقارنة الحلول الجاهلية بحلنا الإسلامي الشامل، وبيان عيوبها ونقصها [٤].

---

(١) المرجع نفسه، ص١٣٥، ١٣٦.

(٢) "بصائر دعوية"، مرجع سابق، ص٥٦-٥٨.

(٣) المرجع نفسه، ص٥٨.

(٤) "صناعة الحياة"، أ/محمد أحمد الراشد ، مرجع سابق ، ص٢٨.

فالبعض من المنتمين للدعوة الإسلامية يصورون الإسلام دينا دموي المزاج، شرس المسلك، يؤخر اللطف، ويقدم العنف، ويهتم بقص الأظافر والأشعار أكثر مما يهتم بقص زوائد الأنانية وغمط الناس [١].

❁ ❁ ❁

(١) "مشكلات في طريق الحياة الإسلامية"، مرجع سابق، ص٦١.

المبحث التاسع: فقـــه مراتب الأحكـــام وأدب الاختـــــلاف

إن من الفقه الذي ينبغي مراعاته، فقه مراتب الأحكام، وأدب الاختلاف.

فالأحكام الشرعية ليست في درجة واحدة من حيث ثبوتها، وبالتالي من حيث جواز الاختلاف فيها، فهناك الأحكام الظنية التي هي مجال الاجتهاد، وتقبل تعدد الأفهام، والتفسيرات، سواءً كانت أحكاماً فيما لا نص فيه، أو فيما فيه نص ظني الثبوت، أو ظني الدلالة، أو ظنيهما معاً.

وهذا شأن معظم الأحكام المتعلقة بالعمل، كأحكام الفقه، فهذه يكفي فيها الظن، كما أن هناك الأحكام التي ثبتت بالكتاب والسنة والإجماع، ووصلت إلى درجة القطع، وإن لم تصبح من أركان وضروريات الدين، فهذه تمثل الوحدة الفكرية والسلوكية للأمة، ومن خالفها خالف السنة، ووصف بالفسق والبدعة، وقد ينتهي به الأمر إلى درجة الكفر.

وهناك الأحكام المعلومة من الدين بالضرورة، بحيث يستوي في العلم بها الخاص، والعام، وهي التي يكفر من أنكرها بغير خلاف، لما في إنكارها من تكذيب صريح لله، ولرسوله . ﷺ . [١].

فلا يجوز . إذاً . وضع الأحكام كلها في إطار واحد، ودرجة واحدة، حتى يسارع بعض الناس إلى إلصاق الكفر أو الفسوق أو البدعة بكل من عارض حكماً ما، لمجرد اشتهاره بين طلبة العلم، أو تداوله في الكتب، دون تمييز بين الأصول والفروع، ولا تفريق بين الثابت بالنص، والثابت بالاجتهاد، وبين القطعي والظني في النصوص، وبين الضروري وغير الضروري في الدين، فلكل منها منزلته وله حكمه [٢].

والاختلاف في الأحكام الفرعية العملية والظنية، لا ضرر فيه ولا خطر منه، إذا كان مبنيا على اجتهاد شرعي صحيح، وهو رحمة بالأمة، ومرونة في الشريعة وسعة في الفقه، وثراء فيه مع ضرورة اقترانه بالتسامح واتساع الأفق، والتحرر من التعصب، وضيق الأفق.

وقد اختلف فيها أصحاب النبي . ﷺ . ومن تبعهم بإحسان، فما ضرهم ذلك شيئاً، وما نال من أخوتهم ووحدتهم كثيراً، ولا قليلاً [٣].

لقد أراد الله . تعالى . أن يكون في أحكامه، المنصوص عليه والمسكوت عنه، وأن يكون في المنصوص عليه المحكمات، وهن أم الكتاب ومعظمه، والمتشابهات . وهن أقله .، والقطعيات والظنيات، والصريح والمؤول، فتعمل العقول في الاجتهاد والاستنباط، فيما يقبل الاجتهاد، وتسلم

---

(١) "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف"، مرجع سابق، ص١٥٩، ١٦٠، د/ طه جابر العلواني، "أدب الاختلاف في الإسلام"، كتاب الأمة، عدد٩، ط١، ١٤٠٥هـ، طبع رئاسة المحاكم الشرعية، بدولة قطر، ص١٦٢، ١٦٣.

(٢) "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف"، مرجع سابق، ص١٦٠، ١٦٢.

(٣) المرجع نفسه، ص١٦٠، ١٦٢. و "أدب الاختلاف في الإسلام"، ص١٦٢، ١٦٣، مرجع سابق.

فيما لا يقبل ذلك، إيمانا بالغيب، وتصديقا بالحق، وبهذا يتحقق الابتلاء الذي بني عليه خلق الإنسان، حيث قال تعالى: ﮋﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﮊ [الإنسان: ٢][(١)].

ولو أراد الله إنزال القرآن على نحو لا يحتمل في الفهم إلا وجهاً واحداً ما أعجزه ذلك، ولو شاء أن تكون السنة على نحو لا يحتمل في الفهم إلا وجها واحدا، ما أعجزه ذلك كذلك، ولكنه . سبحانه – جعل كثيراً من نصوص القرآن والسنة، على نحو يحتمل في الفهم وجوها متعددة، ليتبين أن هذا الاختلاف مقصود من الشارع، ليكون توسعة على العباد ورحمة بالأمة.

ولذا أشاع على ألسنة العلماء: إجماعهم حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة [(٢)]، وقد قال الشاطبي في ذلك: « فإن الله تعالى حكم بحكمته أن تكون فروع هذه الملة قابلة للأنظار، ومجالا للظنون، وقد ثبت عند النظار أن النظريات لا يمكن الاتفاق فيها عادة، فالظنيات عريقة في إمكان الاختلاف فيها، لكن في الفروع دون الأصول، وفي الجزئيات دون الكليات، فلذلك لا يضر هذا الاختلاف » [(٣)].

وبين ذلك ابن تيمية فقال: « وأما الاختلاف في الأحكام فأكثر من أن ينضبط، ولو كان كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا، لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة » [(٤)].

وقال: "مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه، ولم يهجر، ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه » [(٥)].

إن فقهاءنا الكبار قد اختلفوا في بعض المسائل اختلافاً، قد يتجاوز الأحاديث إلى العشرات من الأقوال، وقد تجد في المسألة الواحدة كل الأقوال التي تقتضيها القسمة العقلية، بل رأينا في داخل المذهب الواحد من المذاهب المتبوعة العديد من الأقوال، أو الروايات، أو الوجوه، أو الطرق، واختلاف التصحيحات والترجيحات فيما بينها لدى علماء المذهب، ومما يبين هذا الأمر بقوة اتساع مذهب الإمام أحمد . وهو يقوم على اتباع الأثر .، للعديد من الروايات والأقوال، بحيث ملأت كتابا من اثني عشر مجلدا، هو كتاب "الإنصاف في الراجح من الخلاف".

---

(١) د/ يوسف القرضاوي، "الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم"، ط١٩٨٩م، نشر بنك التقوى، ص٥٩، ٦٠.

(٢) د/ صلاح الصاوي، "الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر"، كتاب المنتدى، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي – لندن، ص٢٣.

(٣) "الاعتصام"، للإمام الشاطبي، جـ٢، ص١٦٨، مرجع سابق.

(٤) "مجموع الفتاوى"، لابن تيمية، جـ٢٤، ص١٧٣، مرجع سابق.

(٥) المرجع نفسه، جـ٢٠، ص٢٥٧.

وهناك من العلماء من أتاهم الله قدرة فائقة على التحقيق والتمحيص والترجيح بين الأقوال المتنازع فيها، دون تعصب لمذهب أو قول، مثل الأئمة: ابن دقيق العيد، وابن القيم، وابن تيمية، وابن حجر العسقلاني، والدهلوي، والشوكاني، والصنعاني، وغيرهم.

لذا وجب على الداعية معرفة تعليم ما يجوز فيه الخلاف وما لا يجوز، وإدراك أن منطقة ما يجوز فيه الخلاف أوسع بكثير مما لا يجوز [١].

إن اختلاف الآراء الاجتهادية يثري به الفقه، وينمو ويتسع، نظرا لأن كل رأي يستند إلى أدلة واعتبارات شرعية، أفرزتها عقول كبيرة، تجتهد وتستنبط، وتقيس وتستحسن، وتوزن وترجح، وتؤصل، وتقعد القواعد وتفرع عليها الفروع والمسائل.

« وبهذا التعدد المختلف المشارب، المتنوع المسالك، تتسع الثروة الفقهية التشريعية، وتختلف ألوانها من مدرسة الحديث والأثر، إلى مدرسة الرأي والنظر، إلى مدرسة الوقوف عند الظواهر، إلى مدرسة الاعتدال أو الوسط، التي تأخذ من كل مدرسة أحسن ما لديها، متجنبة نقاط الضعف في كل مدرسة، حسبما يهدي إليه اجتهادها، غير متحيزة لهذه أو تلك، ولا لهذا الإمام أو ذاك، ولا لهذا القول أو ضده »[٢].

إن من المهم والواجب شرعا، الالتزام والرعاية والدعوة لأدب الخلاف، واتساع الصدور لمن يخالفنا في فروع الدين، بحيث تختلف آراؤنا ولا تختلف قلوبنا، ودون أن يمس الاختلاف الأخوة، والمحبة والاحترام للمخالف، ودون اتهامه في عقله أو علمه أو دينه.

إن أسباب الخلاف الفقهي قائمة . وستظل إلى قيام الساعة .، بسبب طبيعة البشر، وطبيعة الحياة، وطبيعة اللغة، وطبيعة التكليف، فمن أراد إزالة الخلاف بالكلية، فإنما يكلف الناس والحياة واللغة والشريعة ضد طبائعها [٣].

ومما يساعد على التسامح وتبادل العذر فيما اختلف فيه، الاطلاع على اختلاف العلماء، ليعرف الداعية منه تعدد المذاهب، وتنوع المآخذ والمشارب، وأن لكل منهم وجهته، وأدلته التي يستند إليها، ويعول عليها، وكلهم يغترف من بحر الشريعة، وما أوسعه، ومن أجل ذلك أكد العلماء، وجوب العلم باختلاف الفقهاء، كوجوب العلم بما أجمعوا عليه، فإن اختلافهم رحمة، واتفاقهم حجة.

---

(١) "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف"، مرجع سابق، ص١٦٠، ١٦١، ١٦٢.

(٢) د/ القرضاوي، "الصحوة الإسلامية بين الاختلاف والمشروع، والتفرق المذموم"، ص٦٢ ، مرجع سابق.

(٣) "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف"، ص١٦١، ١٦٢، مرجع سابق. و "بصائر دعوية"، ص٩٧، ٩٨، مرجع سابق.

وفي هذا قالوا: من لم يعرف اختلاف العلماء فليس بعالم، ومن لم يعرف اختلاف الفقهاء لم تشم أنفه رائحة الفقه [١].

لقد اختلف الأئمة في كثير من الأمور الاجتهادية، كما اختلف الصحابة والتابعون قبلهم، وهم جميعا على الهدى، مادام الاختلاف لم ينجم عن هوى أو شهوة، أو رغبة في الشقاق.

فقد كان الواحد منهم يبذل جهده، ووسعه، هادفا الوصول إلى الحق، مبتغيا رضا الله تعالى، ولذلك فإن أهل العلم في سائر الأمصار كانوا يقبلون فتاوى المفتين في المسائل الاجتهادية، ماداموا مؤهلين، ويحسنون الظن بالجميع، ويسلمون بقضاء القضاة على أي مذهب كانوا، ويعمل القضاة بخلافهم مذاهبهم عند الحاجة، من غير إحساس بالحرج، أو انطواء على قول بعينه، فالكل يستقي من ذلك النبع، وإن اختلفت الدلائل، وكثيرا ما يصدرون اختياراتهم، بنحو قولهم: « هذا أحوط وهذا هو المختار أو أحسن، أو هذا ما ينبغي، أو نكره هذا، أو لا يعجبني»، فلا تضييق ولا اتهام، ولا حجر على رأي، له من النص مستند، بل يسر وسهولة وانفتاح على الناس لتيسير أمورهم [٢].

وقد صلى الشافعي . ﷺ . الصبح قريباً من مقبرة الإمام أبي حنيفة، . رضي الله عنه .، فلم يقنت، والقنوت عنده سنة مؤكدة، فقيل للشافعي في ذلك، فقال: أخالفه (أبا حنيفة)، وأنا في حضرته [٣].

وقد صلى أبو يوسف . رضي الله عنه . يوم الجمعة، مغتسلا من الحمام، وصلى بالناس وتفرقوا ثم أخبر بوجود فأرة ميتة في بئر الحمام، فقال: أنأخذ بقول إخواننا من أهل المدينة، إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً.

وفي جامع الفتاوى، أنه إن قال حنفي: إن تزوجت فلانة فهي طالق ثلاث، ثم استفتى شافعيا، فأجاب أنها لا تطلق، ويمينه باطل، فلا بأس باقتدائه بالشافعي في هذه المسألة، لأن كثيرا من الصحابة في جانبه [٤].

إن الأخوة في الله، ووحدة القلوب بين المسلمين، والحفاظ عليها، ونبذ كل ما يسئ إليها أو يضعف من عراها من أهم الفرائض وأخطرها، وعبادة من أهم العبادات، وقربة من أفضل القربات، لأننا بتلك الأخوة نقوى على التصدي لكل العقبات التي تعيق نجاح الدعوة وانتشارها، وتحرر الشعوب المسلمة واستقلالها.

---

(١) د/ القرضاوي، "الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم"، مرجع سابق، ص١١٣، ١١٥. و "أدب الاختلاف في الإسلام"، ص١٦٧، مرجع سابق.

(٢) "أدب الاختلاف في الإسلام"، د/ طه جابر العلواني، مرجع سابق، ص١١٧، ١١٨، ١٣٥. و "حجة الله البالغة" لولي الله الدهلوي، ط٢، دار المعرفة – بيروت، جـ١، ص٣٦٠.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) المرجع نفسه، ص٣٦١.

إن علماء السلف الكرام كثيرا ما كانوا يفعلون المفضول، ويتركون الأفضل منه، مراعاة للائتلاف، وخروجا من الخلاف، وقد يتركون المندوب . في نظرهم .، ويفعلون الجائز، تحقيقاً لذلك [١].

وقد ذكر ابن تيمية في فتاويه بعض التطبيقات، يكون ترك المستحب فيها لمصلحة التأليف مثلا، من هذه التطبيقات ما يلي:

(أ) إذا كان الإمام يرى أن فصل الوتر عن الشفع أفضل، لكنه يؤم قوما يرون أن الوصل أفضل، فالأولى له أن يوافقهم، حتى يحصل تأليفهم ومودتهم واجتماعهم.

(ب) إذا كان الإمام يرى أن الإسرار بالبسملة أفضل، أو الجهر أفضل، وكان المأموم على خلاف ما يرى، فمصلحة موافقتهم ومودتهم وعدم نفورهم، بفعل المفضول عندهم راجحة على فعل الأفضل عنده [٢].

وقال: « ولو كان الإمام يرى استحباب شيء، والمأمومون لا يستحبونه، فتركه لأجل الاتفاق والائتلاف كان قد أحسن »[٣].

فلا يصح للداعية مصادمة ما يعتقده الناس في الخلافات الفرعية المذهبية، بل من الحكمة العمل بما اعتاده الناس، وإن خالف مذهب الداعية، ما لم يكن ما اعتادوه باطلا.

ويذكر أحد الدعاة أنه دعي لمحاضرة في الأقصر، ووجه سؤال له في أمر الدماء، فأجاب بمذهب الشافعية الذي درسه، فإذا بالجمهور يزمجر، فأنقذ إمام المسجد الموقف، وأستأذن في الحديث، وأفتى الناس على مذهبهم الذين يعرفون، فهدأوا!

ولقد تعود هذا الداعية، بعد ذلك، إذا دعي إلى مكان لأول مرة، أن يسأل عن كيفية صلاتهم، من حيث: الطول في القراءة أو القصر، والقنوت، إن كان في الصبح من عدمه، والوتر، من حيث كون صلاته ثلاثا، متصلة، أم ركعتان وركعة....، وهكذا.....

ويتأكد هذا في الدرس والمحاضرة، فلا يصح محاضرة أهل تصوف عن بدعية التصوف، بل يجب الحديث عن مزايا التصوف الصحيح وإيجابياته، وبعد ذلك يمكن الحديث عن سلبياته، وبهدوء، وبالقدر المناسب لحالهم [٤].

---

(١) "أدب الاختلاف في الإسلام"، ص١٦٣، ١٦٤، مرجع سابق.

(٢) ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، إدارة الرسالة العامة لشئون الحرمين، جـ٢٤، ص١٩٥، ١٩٦، بتصرف كبير.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) د/ سالم محمود عبد الجليل، "تجديد الخطاب الديني"، العدد ٩٠، من سلسلة "دراسات إسلامية" الصادرة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، فبراير ٢٠٠٣م، ص٩٠.

فعلى طوائف العاملين للإسلام وآحادهم أن يحفظوا فيما بينهم حقوق وآداب الأخوة، وأن يحققوا الفائدة من تعددهم، فيحصل التخصص الذي يجود الأداء، ويستوعب أكبر قدر من الأمة، وتجتنب معه الإبادة الجماعية للدعوة والدعاة، ويفتح المجال لأكثر من تجربة عملية تثري ساحة الدعوة إلى الله، وتشيع جوا من المنافسة المحمودة في الخيرات، مع اجتماع الكلمة في القضايا الكبرى والملمات، وتوحيد الصفوف في المواقف العملية والمهمات.

إن مجالات الدعوة وآفاقها فسيحة، وفيها من السعة والتنوع ما يستوعب كل اجتهاد، ويستثمر كل طاقة، ومع قلة الإمكانيات، وكثرة الواجبات، وغلبة المنكرات، وتسلط الأعداء، يتعين التعاون والتقارب بين الدعاة، أفراداً وجماعات، وهيئات [١]، وما أجمل قول كل داعية لأخيه عند اختلافهم علميا . بل وعملياً .، ما قال الإمام الشافعي ليونس، بعد تناظرهما في مسألة، فلم يتفقا، فلما التقيا أخذ الشافعي بيد يونس، برفق وقال له: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانا، وإن لم نتفق في مسألة [٢].

فالخلاف حقيقة حتمية قدرية، والموقف من المخالف يتفاوت بتنوع الخلاف:

- فصاحب خلاف التنوع محسن مثاب، لإصابة الحق.
- وصاحب خلاف التضاد فيما كان من الظنيات خلافه سائغ، ولا إنكار عليه ولا تشنيع، بل التحاور والتناصح، والتماس المعاذير.
- وصاحب خلاف التضاد غير السائغ ينكر عليه خلافه، بعد زوال شبهاته بالحوار والإقناع[٣].

لقد اختلف الصحابة في مسائل، وأقر كل فريق الآخر على العمل باجتهاده، كمسائل في العبادات، والمناكح، والمواريث، والعطاء، والسياسة، وغير ذلك،....، وتنازعوا في مسائل علمية اعتقادية، كسماع الميت صوت الحي، وتعذيب الميت ببكاء أهله، ورؤية النبي . ﷺ . ربه قبل الموت، مع بقاء الجماعة والألفة، وهذه المسائل منها أحد القولين خطأ قطعا، ومنها المصيب في نفس الأمر واحد عند الجمهور، أتباع السلف،....[٤].

---

(١) د/ محمد يسري، "معالم في أصول الدعوة"، كتاب مجلة البيان، ط١، ٢٠٠٣م، ص٨٢، ٨٣. وكتاب "أدب الاختلاف في الإسلام"، ص١٥١، ١٥٢، مرجع سابق.

(٢) انظر "سير أعلام النبلاء"، جـ١٠، ص١٦، مرجع سابق.

(٣) "معالم في أصول الدعوة...." مرجع سابق، ص٨٠، ٨١.

(٤) الإمام ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، جـ١٩، ص١٢٢، ١٢٣، مرجع سابق.

إن الخطأ المغفور في الاجتهاد في المسائل الفروعية يتناول الأمور العلمية الاعتقادية، والأمور العملية الفرعية على حد سواء [١].

وذكر ابن تيمية رحمه الله أمثلة عديدة لهذه الأمور العلمية، كمن اعتقد ثبوت شيء، لدلالة آية أو حديث، وكان ذلك ما يعارضه ويبين المراد ولم يعرفه، مثل: من اعتقد أن الذبيح إسحاق عليه السلام، لحديث اعتقد ثبوته، أو اعتقد أن الله لا يرى، لقوله تعالى: ﮋ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﮊ [الأنعام: ١٠٣]، ولقوله: ﮋ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﮊ [الشورى: ٥١].

كما احتجت عائشة . رضي الله عنها . بهاتين الآيتين على انتفاء الرؤية في حق النبي . ﷺ .، وإنما يدلان بطريق العموم، وكما نقل عن بعض التابعين أن الله لا يرى، وفسروا قوله: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﮊ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، بأنها تنتظر ثواب ربها، كما نقل عن مجاهد وأبي صالح....

أو اعتقد أن الله لا يعجب، كما اعتقد ذلك شريح، لاعتقاده أن العجب إنما يكون من جهل السبب، والله منزه عن الجهل....

أو أعتقد أن بعض الكلمات أو الآيات أنها ليست من القرآن، لأن ذلك لم يثبت عنده بالنقل الثابت، كما نقل عن غير واحد من السلف أنهم أنكروا ألفاظا من القرآن، كإنكار بعضهم قوله: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮊ [آل عمران: ٨١]، وقال: إنما هو ميثاق بني إسرائيل، وكذلك هي قراءة عبد الله ابن مسعود، وإنكار بعضهم ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮊ [الرعد: ٣١]، إنما هي: أو لم يتبين الذين آمنوا [٢].

كما أنكر عمر . رضي الله عنه . على هشام بن الحكم، لما رآه يقرأ سورة الفرقان على غير ما قرأها، وكما أنكر طائفة من السلف، على بعض القراء بحروف لم يعرفوها، حتى جمعهم عثمان على المصحف الإمام.

وأنكر طائفة من السلف والخلف أن الله يريد المعاصي، لكونهم ظنوا أن معناه حب الله ورضاه وأمره بها.

وكالصحابة الذين سألوا النبي . ﷺ .: هل نرى ربنا يوم القيامة؟[٣]، فلم يكونوا يعلمون أنهم يرونه، وكثير من الناس لا يعلم ذلك، إما لأنه لم تبلغه الأحاديث، وإما لأنه ظن أن الرواي كذب أو غلط[٤].

ثم يقرر الإمام ابن تيمية: أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها (اجتهادها الخاطئ)، وذلك يعم المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية [٥].

---

(١) "الثوابت والمتغيرات"، د/ صلاح الصاوي، ص٢٤، مرجع سابق.
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، مرجع سابق، جـ٢٠، ص٣٢، ٣٦.
(٣) انظر صحيح البخاري، كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ فَضْلِ السُّجُودِ، (١ / ١٦٠)، حديث رقم: (٦٩٥).
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية، جـ٢٠، ص٣٢، ٣٣، مرجع سابق.
(٥) المرجع نفسه، جـ٢٣، ص٢٢٩.

ويبين ابن القيم في "زاد المعاد" أن العلماء اختلفوا في حكم القنوت في صلاة الصبح، فهناك من أنكره مطلقا في النوازل وغيرها، واعتبره بدعة، وآخرون رأوا استحبابه مطلقا في النوازل وغيرها.

وقد رجح ابن القيم أن هدي النبي . ﷺ . هو القنوت عند النوازل، وهذا دلت عليه الأحاديث النبوية، وقد أخذ بهذا فقهاء الحديث، فهم يقنتون حيث قنت رسول الله . ﷺ .، ويتركونه حيث تركه، فيقتدون به في فعله وتركه، ويقولون: فعله سنة، وتركه سنة....، ومع هذا فلا ينكرون على من داوم عليه، ولا يكرهون فعله، ولا يرونه بدعة، ولا فاعله مخالفا للسنة، كما لا ينكرون على من أنكره عند النوازل.... إلخ، بل من قنت فقد أحسن، ومن تركه فقد أحسن.

وذكر أن هذا من الاختلاف المباح الذي لا يعنف فيه من فعله ولا من تركه، ومثله: رفع اليدين في الصلاة وتركه، وكالخلاف في أنواع التشهدات، وأنواع الأذان، والإقامة، وأنواع النسك، من إفراد وقران وتمتع [١].

إنه ما كان للتعدد الذي وقع في باب المذاهب الفقهية أن يكون مقبولا، وأن تقر به الأمة على مدار التاريخ، لولا ما كان عليه الأئمة الأوائل من التغافر والتراحم، وثناء بعضهم على بعض، واقتداء بعضهم ببعض، ونهيهم أتباعهم عن التعصب لهم بغير الحق، والتأكيد المستمر على أن الحجة القاطعة والحكم الأعلى هو الشرع لا غير، وأن كل الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله . ﷺ . [٢]،

وقد بين فقهاء الأمة أن للمأموم أن يصلي وراء إمامه، وإن رآه يفعل ما ينقض الوضوء، أو يبطل الصلاة في نظره هو، أي المأموم، مادام هذا سائغا في مذهب الإمام.

وكان الصحابة والتابعون ومن بعدهم يصلي بعضهم خلف بعض من غير نكير، ومنهم من يقرأ البسملة، ويجهر بها، ومنهم من لا يقرأ بها، ولا يجهر بها، ومنهم من يتوضأ من الحجامة والرعاف، والقيء، ومنهم من لا يتوضأ من ذلك، ومنهم من يتوضأ من أكل لحوم الإبل، ومنهم من لا يتوضأ من ذلك، ومنهم من يتوضأ من مس النساء بشهوة، ومن مس الذكر، ومنهم من لا يتوضأ من ذلك، وكان أبو حنيفة وأصحابه، والشافعي وغيرهم يصلون خلف أئمة أهل المدينة من المالكية وغيرهم، وإن كانوا لا يقرأون بالبسملة، لا سراً ولا جهراً.

وصلى أبو يوسف خلف هارون الرشيد، وقد احتجم، وأفتاه مالك: لا يتوضأ، فصلى خلفه أبو يوسف، ولم يعد، وروى أن أبا يوسف ومحمدا كانا يكبران في العيدين تكبير ابن عباس، لأن هارون الرشيد كان يحب تكبير جده.

---

(١) ابن القيم، "زاد المعاد"، ج ١، ص ١٤٤، مرجع سابق.

(٢) "الثوابت والمتغيرات...."، ص٣٤١، مرجع سابق.

وكان الإمام أحمد بن حنبل يرى الوضوء من الحجامة والرعاف، فقيل له: فإن كان الإمام مالك قد خرج منه الدم، ولم يتوضأ هل تصلي خلفه؟ فقال الإمام أحمد للسائل: كيف لا أصلي خلف الإمام مالك وسعيد بن المسيب؟ [١].

بل إن المأموم لو تيقن أن الإمام فعل ما لا يسوغ عنده، مثل: أن يمس ذكره، أو مس النساء لشهوة، أو يحتجم أو يفصد، أو يتقيأ، ثم يصلي بلا وضوء، لو حدث هذا، فإن جمهور السلف يرون صحة صلاة المأموم، وهو مذهب مالك، وأكثر نصوص أحمد على هذا، وهو قول آخر في مذهب الشافعي وأبي حنيفة، وهو الصواب [٢].

وهناك من المتدينين من يتوهم قدرته على أن يصب الناس في قالب واحد، وجمعهم على رأي واحد وفق ما فهموه من النصوص الشرعية، وبذلك لا تنقرض المذاهب، ويرتفع الخلاف – في نظرهم –، ونسوا أن فهمهم هذا ليس أكثر من رأي يحتمل الخطأ، كما يحتمل الصواب، وقد أضافوا مذهبا جديدا، إلى المذاهب المدونة، ودعوا الناس إلى اتباعهم، رغم إنكارهم على اتباع المذاهب المشهورة تقليدهم لأئمتهم، وينكرون علم الكلام القديم وما فيه من جدليات ومزايدات، في الوقت الذي أنشأوا فيه علم كلام جديد، لا يهتم بغرس اليقين في القلوب بقدر غرسه في العقول حب الجدل في أمور العقيدة!، وحدث منهم تطاول على مناهج مؤسسي وعلماء المذاهب المتبعة، واحتقار للفقه الموروث، وادعاء أنهم وحدهم على الحق ! [٣]، وقد صدر قرار من المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي يدين هذه الفئة الداعية لنبذ المذاهب الفقهية القائمة التي تلقتها الأمة بالقبول، ودعاهم المجمع الفقهي إلى الكف عن هذا الأسلوب البغيض الذي ينتهجونه ويضللون به الناس، ويشقون صفوفهم ويفرقون كلمتهم [٤].

وقد دار حوار بين د/ القرضاوي وطالب علم من تلاميذ مدرسة الرأي الواحد، سأله الطالب: ولم لا يلتقي الجميع على الرأي الذي معه النص؟ .

فأجابه د/ القرضاوي: لابد أن يكون النص صحيحا مسلما به عند الجميع، ولابد أن يكون صريح الدلالة على المعنى المراد، ولابد أن يسلم من معارض مثله، أو أقوى منه، من نصوص الشريعة الجزئية، أو قواعدها الكلية.

---

(١) ولي الله الدهلوي، "حجة الله البالغة"، مرجع سابق، ص٣٦٠، ٣٦١.

(٢) د/ يوسف القرضاوي، "فتاوى معاصرة"، ص٢٠١، ٢٠٤.

(٣) "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف"، ص ١٦٣، ١٦٤ ، مرجع سابق. و "الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم"، ص١١٤، مرجع سابق.

(٤) انظر مجلة المجمع الفقهي، السنة الثانية، العدد الثالث، ص١٧٣.

فقد يكون النص صحيحا عند إمام، ضعيفا عند غيره، وقد يصح عنده، ولكن لا يسلم بدلالته على المراد، فقد يكون عند هذا عاما، وعند غيره خاصا، وقد يكون عند إمام مطلقا، وعند آخر مقيدا، وقد يراه هذا دليلا على الوجوب أو الحرمة، ويراه ذلك دالا على الاستحباب، أو الكراهية، وقد يعتبره بعضهم محكما، ويراه غيره منسوخا..... [١] إلى غير ذلك من الاعتبارات التي وردت في كتاب الإمام ابن تيمية "رفع الملام عن الأئمة الأعلام"، وذكرها الشيخ العلامة علي الخفيف في كتابه: "أسباب اختلاف الفقهاء"، مما يبين أن الإجماع على أمر واحد في فروع الدين مطلب مستحيل، بل هو يتنافى مع طبيعة الدين، الذي يريده الله باقيا، خالدا، يناسب العصور ويصلحها[٢].

إن هذا الاختلاف السائغ لا يعتبر مساسا بمثالية الدعوة الإسلامية، وصدق نية أولئك الرجال الذين كانوا يختلفون، بل وجود هذا الاختلاف بيان لواقعية الإسلام، الذي يتعامل مع الناس على أنهم بشر، تتنازعهم عوامل مختلفة فطرهم الله عليها [٣].

وقد أنكر الشيخ الغزالي على شاب وحده يتكلم بحقد عن أحد الدعاة؟ فسأله: ما تنقم من هذا الداعية؟ قال الشاب: ما يعرف السنة، ألا ترى إسباله لثوبه؟ وما يحسن الصلاة!، يقعد وقدماه على هيئة كذا!! فرد عليه الشيخ: تكره مسلما، وتتمنى له الشر لهذه الصغائر؟، إن تضخيم هذه الأمور دليل مرض نفسي، ومعصية قلبك أبعد عن المغفرة من اضطراب مظهره، ولعله أقرب إلى الله منك [٤].

إن مما يقرب المسافة بين الداعين إلى الإسلام في الأمور الخلافية: تجنب القطع في المسائل الاجتهادية، التي تحتمل وجهين أو رأيين، أو أكثر، وكذلك تجنب الإنكار فيها على الآخرين [٥].

ولما سئل ابن تيمية عمن ولي أمرا من أمور المسلمين، ومذهبه لا يجوز شركة [٦] الأبدان، فهل يجوز له منع الناس من العمل بها؟

أجاب: ليس له منع الناس من مثل ذلك، ولا من نظائره مما يسوغ فيه الاجتهاد، وليس معه بالمنع نص من كتاب ولا سنة، ولا إجماع، ولا ما هو في معنى ذلك، لاسيما وأكثر العلماء على جواز مثل ذلك، وهو مما يعمل به عامة المسلمين في عامة الأمصار [١].

---

(١) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص١٦٤، مرجع سابق.
(٢) المرجع نفسه، ص١٦٥، ١٦٩. و "أدب الاختلاف في الإسلام"، ص١٠٧، ١١٦، مرجع سابق.
(٣) "أدب الاختلاف في الإسلام"، مرجع سابق، ص١٠٣، ١٠٤.
(٤) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، مرجع سابق، ص٥١، ٥٢.
(٥) "الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم"، ص١٠٩، مرجع سابق.
(٦) مجموع الفتاوى، جـ٢٠، ص٢٠٧، مرجع سابق.

ومن الأهمية بلورة مواضع الإجماع، والتمييز الدقيق بينها وبين مجاري الاجتهاد، حتى لا يؤدي اختلاط الأمور إلى ترخص في قطعي مجمع عليه، أو تهارج بسبب ظني مختلف فيه، مع ما يترتب على ذلك من استمرار الفرقة، وتكريس التشرذم، وإعطائه بعدا عقديا، يعسر تجاوزه [٢].

فمن الضروري الحرص الدائم على عدم الغلو في مسائل الفروع، ورفعها إلى مصاف الأصول والمذاهب الاعتقادية، لما لذلك من أثره البالغ على الروح التي تعالج هذه القضايا [٣].

والدين ليس الاحتباس في قوقعة الجزئيات المتفاوتة، والخلافات الصغيرة، مهما صاحب ذلك من حماس وتشنج!!، وقد حدث حوار بين الشيخ الغزالي وأحد ممن يعلن حب السلف، دون تأدبه بأدبهم، وفقهه فقههم، ومما جاء في الحوار قول الشيخ له: ألست تحب السلف؟ قال: بلى وربي، قال الشيخ له: ماذا تعرف عن سياسة الحكم عند السلف؟ وسياسة المال، وسياسة الدعوة؟ وسياسة المجتمع.وسياسة الحرب والسلام؟ إنكم من طول حديثكم عن الحرب والضرب، أشعرتم الناس كأننا مولعون بسفك الدماء،والإسلام إنما يخاصم الفتانين،وقطاع الطرق،وأعداء الشعوب !.

هذه القضايا الخمس كانت واضحة الدلالة في نفوس أسلافنا، كانوا يعرفون بها في أرجاء الدنيا ! [٤].

. الحكم قوامه العدل،وآيته قول الرسول الكريم:« لَا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لَا تَأْخُذُ لِضَعِيفِهَا حَقَّهُ مِنْ قَوِيِّهَا غَيْرَ مُتَعْتَعٍ»(٥). والمال ليس متعة خاصة، إنه عافية لصاحبه، وغوث للمحتاجين، وأداة للجهاد في سبيله. والدعوة تطوف في الآفاق، أخرج العرب من جزيرتهم للبلاغ، فما استقروا إلا حيث تزدهر تعاليم الإسلام .

والمجتمع الإسلامي كانت قاعدة الأمر والنهي روحه، وشرفه وسياج حق الله، والناس في أرجائه، فماذا بعد أن خفت الصوت؟ [٦]، صدق قول الرسول الكريم: "إِذَا رَأَيْتُ أُمَّتِي تَهَابُ فَلَا تَقُولُ لِلظَّالِمِ يَا ظَالِمُ فَقَدْ تُودِّعَ مِنْهُمْ" (٧)، وهي الآن تحيا في أكفانها!.

وأضاف الشيخ الغزالي للرجل: « في عصرنا هذا توجد سبعون طريقة لخدمة الإسلام، وإنعاش أمته المغمى عليها، وتثبيت أقدامها على الطريق الذي مرت به مواكب السلف، ولا تصح طريقة

---

(١) هي اشتراك شخصين فيما يتملكان بأبدانهما وجهدهما من الأشياء المباحة، كالاحتطاب والاصطياد، واستخراج المعادن، ونحو ذلك، وقد أجازها الأئمة الثلاثة، ومنعها الشافعي.

(٢) "الثوابت والمتغيرات في العمل الإسلامي المعاصر"، مرجع سابق، ص١٢٢٠.

(٣) د/ صلاح الصاوي، "مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي"، ط٢، ١٩٩٤م، الآفاق الدولية للإعلام – القاهرة، ص٢٢٦.

(٤) الشيخ محمد الغزالي، "جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج"، ط٢، دار القلم – دمشق، ١٩٩٩م، ص١٨٠.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) جهاد الدعوة، ص ١٨١، مرجع سابق.

(٧) المستدرك على الصحيحين للحاكم، كِتَابُ الْأَحْكَامِ، (٤ / ١٠٨)، رقم:٧٠٣٦، قال الذهبي في التلخيص: صحيح.

من هذه الطرق إلا بعد رفع أمتنا إلى مستوى الوحي، وتصحيح إنسانيتها، وفتح عينها المغلقة، كي تمشي على سناه.

أما إدارة رحى الحرب من أجل تقصير الثياب، وتحريم الرسم المباح، وإطالة اللحى، فأمر لا صلة له بالسلف ولا بالخلف » [1].

وعلى الدعاة الحذر من عدة أمراض نفسية قلبية، حذر منها الرسول . ﷺ .، ووصفها بأنها من المهلكات، وهي: الشح المطاع، والهوى المتبع، وإعجاب كل ذي رأي برأيه... [2]، إلى غير ذلك من أمراض فتاكة من الكبر والعجب، والخيلاء، وحب الرياسة والزعامة والوجاهة.

إن مرضا من هذه الأمراض القلبية الخطيرة يكفي ليدمر الفرد والجماعة إذا فشا فيها، فكيف بها إذا اجتمعت في فرد أو جماعة، في وقت واحد.

ومن النادر السلامة من كل هذه الأمراض، لذا وجب العناية بالتزكية والتحلية للنفوس منها، وملاحظتها باستمرار، لتبقى طاهرة صافية مؤهلة لنصرة الله، إن من الملاحظ في الحياة الدعوية وجود فرقة في الصفوف، وضعف، وخلافات شديدة، بسبب هذه الأمراض.

ويتساءل أحد الدعاة: « أنى لفرد أو جماعة أن تنجح في دعوتها إذا كانت تنظر إلى رأيها واجتهادها وفهمها على أنه الصواب المطلق، وإلى رأي الآخرين واجتهادهم على أنه الخطأ المطلق؟.

وأين هذا من فعل السلف الصالح الذين كان لسان حالهم يقول: ما أنا عليه صواب، ويحتمل الخطأ، وما عليه غيري خطأ، ويحتمل الصواب.

وكم من داعية بسبب الإعجاب بالرأي، قاطع إخوانه، وفاصلهم، لأنهم خالفوه في مسألة اجتهادية، أو موقف دعوي!.

وكم من دعوة قضى عليها، بسبب مثل هذه الخلافات!" [3].

بإمكان كل من جماعات الدعاة أن يكون لكل منها وجهات نظرهم في كثير من الأمور السياسية، وفي الأحكام الفرعية، وفي المسائل الاجتماعية، ولكن هناك أشياء متفق عليها، لنتعاون فيها: نتعاون على تثبيت الإيمان، وعلى محاربة الإلحاد، وعلى تقوية الفضائل، وعلى محاربة الإباحية والتحلل، وعلى تماسك الأسرة وتماسك المجتمع، وعلى محاربة الأمية، والفقر والجهل والمرض، والرذيلة، وعلى الوقوف في وجه التيارات المعادية للدين والوطن والأمة.

---

(١) "جهاد الدعوة، بين عجز الداخل، وكيد الخارج"، ص١٨١ ، مرجع سابق.

(٢)عَنْ أَنَسٍ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ" شعب الإيمان، باب الخوف من الله تعالى، (٢ / ٢٠٤)، رقم: ٧٣١، قال الألباني: حسن.

(٣) "بصائر دعوية"، ص١٠١، ١٠٢ بتصرف كبير، مرجع سابق.

نعم، ما أكثر ما يمكن أن نتفق عليه، وليتنا نأخذ بنصيحة صاحب المنار العلامة رشيد رضا . رضي الله عنه .، حين وضع قاعدة ذهبية في هذا الشأن، وهي " نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ".

إن صهر جماعات الدعاة في حركة عالمية واحدة، دون عقبات وعقبات، من طبيعة الدين والبشر، ومن ظروف الواقع والحياة، وليس من الضروري هذا التوحيد، وهذا الصهر والتذويب، فلا مانع من تعدد الفصائل والمدارس، والجماعات الدعوية، على أن يكون تعددها تعدد تنوع وتخصص، لا تعدد تضارب وتناقض، فهذا يهتم بالعبادة، وهذا يهتم بالعقيدة، وآخر بإصلاح الأسرة والجانب الاجتماعي، ورابع يختص ويهتم بالجانب الاقتصادي، وخامس بالجانب السياسي، وآخر بالجانب التربوي والأخلاقي....، لا مانع من اهتمام كل فصيل أو تجمع دعوى بقضية أو أكثر، على ألا ينكر على الآخرين ما يهتمون به، ولا يحاول هدم ما ياتون من خير، وعلى أن يقف الجميع صفا واحدا في القضايا المصيرية [١].

قد يضع بعض الدعاة والعلماء . باجتهادهم . مناهج تفصيلية، وخططا مرحلية لدعوتهم، تطبيقا للمناهج الربانية، واعتمادا عليها، وذلك بما يتناسب مع زمانهم، ويتلاءم مع ظروف المدعوين من حولهم.

وقد وضعوا هذه المناهج، بمقتضى علمهم وفهمهم لشريعتهم، فهي تحتمل الصواب والخطأ، كأي مسألة اجتهادية، لا يعدم المجتهد فيها أجرا أو أجرين، بحسب صوابه فيها أو خطئه.

لذا ليس جائزا أن ينظر البعض إلى هذه المناهج البشرية التي وضعها هؤلاء الدعاة، على أنها مخالفة لشرع الله، وابتداء في الدين، وخروج عن المنهج الرباني!.

– إن هذه المناهج مسألة اجتهادية، تتقبل الحوار والمناقشة، والتصويب والتخطيء، دون إنكار أو تشنيع، كما هو واجب المسلم تجاه المسائل الاجتهادية [٢].

إن تعدد التنوع يؤدي إلى مزيد من الإثراء والنماء.

أما تعدد التناقض فيؤدي إلى التآكل والفناء.

إنه بحسبنا اللقاء الإجمالي على الأصول التي لا ينبغي الخلاف عليها، ولابد من جهد يبذل لإيجاد تعاون مثمر قوي بين العاملين للإسلام، لنصرة الشريعة، والدعوة: جهد عملي، وجهد فكري،

---

(١) "الصحوة الإسلامية بين الآمال والمحاذير"، مرجع سابق، ص٣٧، ٣٨. و "الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم"، ص١٤٥– ١٥٥، ١٥٩–١٦٤.

(٢) "بصائر دعوية"، مرجع سابق، ص٦١، ٦٢.

حتى تزرع الثقة، وتقرب الشقة، وتغرس روح التسامح وحسن الظن، وتنقية النفس، من آفات العجب والغرور، واتهام الآخرين، واحتقارهم، "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم" [١].

وهذا العمل من الأولويات المهمة والمقدمة في الساحة الإسلامية اليوم، وإذا لم يتقارب ويتعاون ويتحابب العاملون للإسلام والدعوة، فسيؤكلون جميعا، ستفترسهم المخالب، والأنياب الحادة للقوى المعادية للإسلام وأمته، سيضربون تيارا بعد تيار، ومجموعة بعد مجموعة،... [٢].

فتلوين الأنشطة الدعوية وتعميمها على كل جوانب الحياة، يعد أفضل صمام أمان، لاستمرارها، واقتدارها على التكيف، واستفادتها من مختلف الفرص، والظروف الكثيرة والمتقلبة.

وما لم يتجه الدعاة إلى تنويع استثمار جهودهم الدعوية في عدد واسع من الأنشطة والمجالات، فربما يجد الداعية نفسه – في لمحة عين – وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وصار محروما من الحركة في المجال الذي تخصص فيه [٣].

ويثبت واقع الدعاة أن هناك قوى، لها مخططات ماكرة، لشغل القوى الإسلامية الفاعلة، بعضها ببعض، فتتصارع فيما بينها، وتتراشق بالتهم، والتأثيم، والتخوين، والتبديع، والتفسيق.... إلخ، وبهذا يهدم بعضها بعضا، وأعداء الدعوة والوطن يتفرجون، قريري الأعين بما يحدث !! [٤].

إن إثارة الخلاف بين المسلمين، أو تنمية أسبابه، خيانة عظمى لأهداف الإسلام والجدل حول مسائل في فروع الفقه أو على هامش العقيدة، وتعويق لمسيرة الإسلام وتشتيت لجهود العاملين المخلصين [٥].

وهناك بعض الدعاة يسعى أينما ذهب وحل إلى زرع عوامل الاضطراب والتشويش، وقسم أبناء البلدة الواحدة إلى فرقاء متناحرين، مع زعم كل منهم بأنه يدافع عن المنهج الصحيح، وبعض الدعاة يبذر بذور العصبية في الأرض البكر: عصبية لشيخ، أو مذهب، أو جماعة أو اتجاه، فيؤدي ذلك إلى خسارة الجميع لتلك الأرض [٦].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، (٤ / ١٩٨٦)، رقم:٢٥٦٤.

(٢) د/ القرضاوي، "في فقه الأولويات"، ص١٩٣، ١٩٤، مرجع سابق.

(٣) "مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي"، مرجع سابق، ص٢٤٥.

(٤) "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف"، ص٨، ١٧، مرجع سابق. و "أدب الاختلاف في الإسلام"، ص١٤٩، ١٥٠، مرجع سابق. و "البدائل المشروعة وأهميتها في نجاح الدعوة الإسلامية"، ص٤٧، ٤٨، مرجع سابق.

(٥) "أدب الاختلاف في الإسلام"، ص١٥١، ١٦٧-١٦٨، مرجع سابق. و "الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم"، ص١٣٥، مرجع سابق.

(٦) "مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي"، مرجع سابق، ص١٣٤.

إن من أكثر ما يوقع الناس في حفرة الاختلاف، وينأى بهم عن الاجتماع والألفة: فراغ نفوسهم من الهموم الكبيرة والآمال العظيمة، وحينئذ تعترك على المسائل الصغيرة، وتقتتل . أحياناً . فيما بينها على غير شيء.

بل إن هناك قوى تتربص بالدعاة والمتدينين تعمل على شغلهم . خاصة جيل الشباب الذي يمثل العمود الفقري للدعوة . بالمسائل الجزئية، والقضايا الجانبية، وتبديد جهوده الفكرية وطاقاته العملية، في الدعوة إلى هذه الفرعيات، والمجادلة عنها والمخاصمة عليها، وإلهائه عن القضايا المصيرية الكبرى، التي تتصل ببقاء الإسلام، وسيادة أمته، وتحرير أوطانه، وتحكيم شريعته في الأرض [١].

وإذا كان للأئمة المجتهدين أسباب اختلاف، تبرر اختلافهم، وتخفف منها، وتساعد على وضعها ضمن ضوابط الاختلاف، فإن أرباب الاختلاف من المعاصرين لا يملكون سبباً واحداً من أسباب الاختلاف المعقولة، فهم ليسوا بمجتهدين، وكلهم مقلدون، بمن فيهم أولئك الذين يرفعون أصواتهم عاليا بنبذ التقليد ونفيه عن أنفسهم، مدعين أنهم يأخذون الأحكام من الكتاب والسنة مباشرة، دون تقليد، وهم في الحقيقة يعكفون على بعض كتب الحديث، ويقلدون كاتبيها في كل ما يقولون في الحديث ودرجته ورجاله، ويتابعونهم في كل ما يستنبطونه من تلك الكتب، أو ينقلونه من الفقهاء.

ومادام الجميع يقلدون ويأخذون عن أئمتهم أقوالهم على اختلافهم . وإن زعموا غير ذلك . فلا أقل من أن يلتزموا بآداب الاختلاف التي عاش في كنفها كرام الأئمة من السلف [٢].

إن من الخطأ عند بعض الدعاة إصرارهم على الجدل في كل شيء، وليس لديهم أدنى استعداد للعدول عن أي رأي من آرائهم، ويريدون لغيرهم اتباعهم في كل ما يقولون!.

واللدد في الخصومة أمر ذمه الله ورسوله [٣]، وبين النبي . ﷺ . أنه: "ما ضل قوم بعد هدي كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم تلا: بل هم قوم خصمون[٤]" [٥]. بل قال النبي . ﷺ .: "إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم" [٦].

---

(١) "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف"، ص٩٢٨، مرجع سابق. و "الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم"، ص١٣٥-١٣٧، مرجع سابق.

(٢) "أدب الاختلاف في الإسلام"، مرجع سابق، ص١٥٠.

(٣) "الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم"، ص٢٤٠، ٢٤١، مرجع سابق.

(٤) سورة الزخرف: ٥٨.

(٥)انظر: سنن الترمذي، كتاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الزُّخْرُفِ، (٥ / ٣٧٩)، حديث رقم: (٣٢٥٣)، وقال: حسن صحيح.

(٦)صحيح البخاري، كِتَاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ}، (٣ / ١٣١)، رقم: ٢٤٥٧.

فمن الواجب أن تشيع بين جماعات الدعاة اللقاءات الإيمانية، والحلقات التعاونية الهادفة إلى تحقيق التناصح فيما بينهم، وتبادل الآراء في تشخيص المشكلات، وأسلوب حلها، والإكثار من اللقاءات، لبحث المشكلات العامة، والعقبات الخارجية، مع تأسيس أعمال دعوية مشتركة، كالجمعيات والمدارس وبناء المبرات والمؤسسات الإعلامية المختلفة...، وكل ما من شأنه إشعار الجميع بأنهم متقاربون، يسعون إلى غاية واحدة، وذلك لينهض العمل الإسلامي الدعوي من كبوته، وعثراته، وتكثر إيجابياته، وتقل أخطاؤه [١].

وهناك أرض مشتركة فسيحة، يلتقي فيها على المستوى النظري والفكري جميع العاملين في الحقل الدعوي، لكن هذا الالتقاء لن يتحقق إلا إذا كان الدعاة في حالة عافية من الأهواء والشهوات، وضغط المصالح الخاصة، والرؤى الجزئية، مع إخلاص لله وتجرد وتواضع.

إن بعض المنتسبين للدعوة قد حول الساحة الدعوية إلى ساحة حرب أهلية!، بناء على عدة عوامل حققت هذه الحرب، منها:

١- اعتقادهم ضرورة استحواذ الأفضل على الساحة، وطرد المفضول منها.

٢- ظنهم أن الخلاف الذي بينهم وبين بعض منافسيهم خلاف في الأصول لا في الفروع، وهذا الظن ليس صوابا.

٣- نظرهم إلى أسلوب ووسائل غيرهم من الدعاة على أنها غير مشروعة، أو على أنها مجلبة للخراب والهدم، ونظرهم ليس صوابا.

٤- الشكوك والظنون المتبادلة حول النزاهة والاستقامة والإخلاص....، ويضاف إلى ذلك رواسب الخلافات العائلية والقبلية، والنقد الجارح، والتفاوت في العادات والتربية، والأمزجة والحساسيات النفسية...، وما إلى ذلك [٢].

ومن الضروري توجيه المعركة الفكرية إلى الذين جندوا أقلامهم وأسلحتهم كلها لشن الحرب على الإسلام ودعوته وقواه العاملة لنصرته.

إنها حرب شرسة لتشويه الدعوة والدعاة، والتشويش على المضامين والأفكار الإسلامية، واختراع مصطلحات جديدة لتنفير الناس من الدين والعمل له، مثل (الإسلام السياسي) أو (الأصولية).... إلخ، والإيقاع بينهم وبين الأنظمة الحاكمة، لاستنزاف قوى البلاد في صراعات دامية، لا تكاد تنتهي إلا لتبدأ من جديد، في صورة أخرى، وباسم آخر [٣].

---

(١) "بصائر دعوية"، مرجع سابق، ص٩٥، و "مقدمات للنهوض العمل الدعوي"، مرجع سابق، ص١٩٧، ٢٠٠.

(٢) "مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي"، مرجع سابق، ص٢٨٤، ١٩٥.

(٣) "في فقه الأولويات...."، د/ القرضاوي، ص١٩٢، مرجع سابق.

إن الإخلاص لله وحده، والتجرد للحق، ومجاهدة النفس حتى تتحرر من اتباع هواها، أو أهواء غيرها، واجب وضرورة.

وكثيراً من الخلافات بين الأفراد والفئات والتجمعات الدعوية، ظاهرها أنه خلاف على مسائل في العلم، أو قضايا في الفكر والدعوة ومصالح المسلمين، وباطنها حب الذات واتباع الهوى الذي يعمى ويصم ويضل عن سبيل الله، وأمور شخصية من زعامة أو جاه أو منصب... إلخ، تغلف بالحرص على مصلحة الإسلام!! (١).

لذا وجدنا النبي . ﷺ . يثني وينوه بالمخلصين المجهولين، الذين ينفقون أغلى أيام أعمارهم في نصرة دينهم وإعلام كلمة الله، وحفظ أوطانهم، دون أن تسلط عليهم الأضواء، أو يشار إليهم بالبنان، فجاء عنه . ﷺ . أنه قال: اليسير من الرياء شرك، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء، الذين إن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى، ينجون من كل غبراء مظلمة (٢).

والمسلم الحق هو الذي يكون عبداً لله، لا عبداً لذاته، فحيث كان عمل لله في الأمام أو في الخلف، قائدا أو جنديا، دون تطلع إلى منصب أو دنيا! (٣)، كما قال . ﷺ .: "إن كان في الحراسة كان في الحراسة، أو كان في الساقة كان في الساقة" (٤).

فكل تجمع دعوي قام لنصرة الإسلام وتجديده في العقول والأنفس، والحياة والمجتمع، ليس أكثر من مجموعة من المسلمين، تجتهد في خدمة الإسلام وإعلاء كلمته، وهي في اجتهادها تصيب وتخطئ، وليست مقدسة أو معصومة لا يصدر عنها إلا الصواب!.

لذا وجب على الداعية أن يكون عدلا مع من يحب ومن يكره، يقوم لله شهيدا بالقسط ولو على نفسه، ولا يخرجه غضبه عن الحق، ولا يدخله رضاه في الباطل، ولا تمنعه الخصومة من الشهادة لخصمه بما فيه من خير، قال تعالى: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ [النساء: ١٣٥].

وقال سبحانه: ژ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ژ [المائدة: ٢].

لذا لا ينبغي عليه الفرح بأخطاء الآخرين، والتشنيع بها، في حين يتعامى عن أخطاء من يحب أو يدافع عنها ! (٥).

---

(١) "الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم"، ص١٩٣، ١٩٤، مرجع سابق.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب الإيمان، جـ١، ص٢٤، حديث رقم: ٤، قال الذهبي قي التلخيص : صحيح.

(٣) "الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع، والتفرق المذموم"، ص١٩٦، مرجع سابق.

(٤) صحيح البخاري، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ ، بَابُ الحِرَاسَةِ فِي الغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، (٤ / ٣٤)، رقم: ٢٨٨٧.

(٥) "الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع، والتفرق المذموم"، ص٢١٩، ٢٢٠، مرجع سابق.

إن اختلاف وجهات النظر بدل أن يكون ظاهرة صحة، تغني العقل المسلم بخصوبة في الرأي، والاطلاع على عدد من وجهات النظر، ورؤية الأمور من كل أبعادها، وزواياها كلها، وإضافة عقول إلى عقل.

بدل ذلك، انقلب عند الكثير من الدعاة والمتدينين اليوم، إلى وسيلة للتآكل الداخلي، والإنهاك، وفرصة للاقتتال حتى كاد الأمر أن يصل ببعض المختلفين إلى حد التصفية الجسدية، وإلى الاستنصار والتقوى بأعداء الدين على صاحب الرأي المخالف، ولهذا في التاريخ القريب والبعيد شواهد.

وكثيراً ما يعجز الإنسان عن النظرة الكلية السوية للأمور،والرؤية الشاملة للأبعاد المتعددة، فيقبع وراء جزئية يضخمها ويكبرها حتى تستغرقه إلى درجة، لا يمكن معها أن يرى شيئا آخر، أو إنسانا يرى رأيا آخر [١].

إن الاختلاف إذا تأدب الناس بآدابه وأخلاقياته الجميلة، كان له بعض الإيجابيات، من أهمها:

١.إتاحة القدرة على التعرف على جميع الاحتمالات التي يمكن أن يكون الدليل رمى إليها، بوجه من وجوه الأدلة.

٢.في الاختلاف السائغ المقبول رياضة للأذهان، وتلاقح للآراء، وفتح مجالات التفكير للوصول إلى سائر الافتراضات التي تستطيع العقول المختلفة الوصول إليها.

٣.تعدد الحلول أمام صاحب كل واقعة، ليهتدي إلى الحل المناسب، للوضع الذي هو فيه، بما يتناسب ويسر هذا الدين الذي يتعامل مع الناس من واقع حياتهم [٢].

ومن الضروري عدم نقل الاختلافات الدعوية إلى المنابر العامة، فإن هذا أعون على احتواء النزاع، وتقبل أطرافه للحق، ورجوعهم إلى جادته [٣].

وهذا ما كان يفعله سفيان الثوري . رضي الله عنه .، فإنه كان يحارب هذه العصبية المفرقة الفاسدة، فكان إذا دخل البصرة يحدث بمناقب علي . ﷺ . أما إذا دخل الكوفة فكان يحدث بمناقب عثمان . ﷺ .. وكان ينصح عطاء بن مسلم بذلك: قائلا: « إذا كنت في الشام (قلعة الأمويين خاصة) فاذكر مناقب علي، وإذا كنت في الكوفة (حيث التشيع غير السوي)، فاذكر مناقب أبي بكر وعمر، . رضي الله عنهما . »[٤].

---

(١) أ/عمر عبيد حسنة، في تقديمه لكتاب "أدب الاختلاف في الإسلام"، للدكتور طه العلواني، كتاب الأمة، عدد ٩، ص١٠، ١١.

(٢) "أدب الاختلاف في الإسلام"، ص٢٧، مرجع سابق.

(٣) د/ صلاح الصاوي، "الجامع في أصول العمل الإسلامي"، ص٣٧.

(٤) أبو نعيم، "حلية الأولياء"، ط٥، دار الكتاب العربي – بيروت، جـ٧، ص٢٧.

إن هناك جملة من الأخلاقيات يلزم التخلق بها، للتحرر من أسر التعصب الذميم، ومنها ما يلي:

أ) أن ينظر إلى القول، لا إلى قائله.

ب) امتلاك الشجاعة لنقد الذات، والاعتراف بالخطأ، والترحيب بالنقد من الآخرين، وطلب النصح والتقويم منهم، وحب الاستفادة من الخير الذي عند الآخرين، من علمهم وحكمتهم وخبرتهم.

ج) الثناء على المخالف فيما أحسن فيه، والدفاع عنه إذا اتهم بالباطل أو تطاول عليه أحد بغير حق [١].

إن الأصل حمل المسلم على الصلاح، وألا يظن به إلا الخير، وحمل ما يصدر منه على أحسن الوجوه، وإن بدا ضعفها، تغليباً لجانب الخير على جانب الشر [٢]، التزاما بقول النبي . ﷺ . : "إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث" [٣].

كما ينبغي تجنب الحكم على النيات واتهامها فعلم السرائر عند الله، الذي لا تخفى عليه خافية، وعلى الداعية ألا يستسلم لوسوسة الشيطان في إساءة الظن بإخوانه، من الدعاة – خاصة من اشتهروا بالغيرة على دين الله وحسن العمل له، بل عليه التماس المعاذير والمخارج فيما يراهم أخطأوا فيه، بدل أن يتطلب لهم العثرات والعيوب [٤]، وقد بين سيدنا عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . أن أعقل الناس أعذرهم للناس [٥]، وليحذر كل داعية من حديث النبي . ﷺ . الذي حذر فيه من تتبع العورات وتلمس العثرات [٦].

إننا نرى تورط بعض من المنتسبين للتيار الديني في الطعن والتجريح، فيمن يخالف وجهتهم، أو مذهبهم في الاعتقاد، أو الفقه أو السلوك، فنجد من يطعن في كبار الصوفية ورجال التزكية، الذين أثنى عليهم المحققون من علماء الأمة، وربما طعنوا في الصوفية جميعاً.

---

(١) "الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم"، ص٢٢١، مرجع سابق.

(٢) "الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم"، ص٢٢٣-٢٢٥، مرجع سابق.

(٣) متفق عليه؛ صحيح البخاري، كِتَابُ الأَدَبِ ، بَابُ مَا يُنْهَى عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ، (٨ / ١٩)، رقم: ٦٠٦٤. و صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ، بَابُ تَحْرِيمِ الظَّنِّ، (٤ / ١٩٨٥)، رقم: ٢٥٦٣.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٢٥.

(٥) "مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي"، مرجع سابق، ص١٩٨.

(٦)عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ» سنن الترمذي، كتاب البِرِّ وَالصِّلَةِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي تَعْظِيمِ المُؤْمِنِ، (٤ / ٣٧٨)، رقم: ٢٠٣٢، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

كما نجد من يطعن في كبار علماء الأشاعرة، ويجرحونهم تجريحا منكرا، وهم من هم علما ومنزلة وفضلا، في الذب عن الدين وعن الكتاب والسنة [١].

بل وجدنا من يسب ويطعن الأزهر، تاريخا وعلماء ومناهج، بدعوى فساد عقيدته، وإنكار صفات الله إلا قليلا مما يدرس من المذهب الأشعري في الأزهر... إلخ [٢].

إن ما نخسره بسبب الخلاف، وما نستهلكه من طاقات وأوقات في الجدل العقيم، حول صحة المناهج، وصواب الأعمال....، هو أكبر بكثير من خسائرنا، بسبب اختلاف الأساليب والوسائل التي تختلف حولها.

ومن الكياسة والفطنة ألا نضيع العمر في طلب الإجماع على مسائل، لا تقبل بطبعها وحدة الرؤية، والطريقة والوسيلة [٣].

لقد اختلف السلف الصالح . رضوان الله عليهم .، لكنهم لم يتفرقوا، لأن وحدة القلوب كانت أكبر من أن ينال منها شيء [٤].

لقد اختلف سيدنا أبو بكر مع الفاروق . رضي الله عنهما . في أمور عديدة، منها:

١. في سبي أهل الردة، فقد كان أبو بكر يرى سبى نساء المرتدين، على عكس ما يراه عمر، الذي نقض في خلافته حكم أبي بكر في هذه المسألة، وردهن إلى أهليهن حرائر، إلا من ولدت لسيدها منهن،ومن جملتهن كانت خولة بنت جعفر الحنفية،أم محمد بن علي . رضي الله عنهما . .

٢. اختلفا في قسمة الأراضي المفتوحة، فكان أبو بكر يرى قسمتها، وكان عمر يرى وقفها للأجيال الحاضرة والمقبلة، ولم يقسمها.

٣. كذلك اختلفا في المفاضلة في العطاء، فكان أبو بكر يرى التسوية في الأعطيات حين كان عمر يرى المفاضلة، وقد فاضل بين المسلمين في أعطياتهم.

٤. لقد استخلف أبو بكر . ﷺ .، على حين رفض عمر ذلك، كما كان بينهما اختلاف في كثير من مسائل الفقه [٥].

ولكن الخلاف ما زاد كلا منهما في أخيه إلا حبا، فأبو بكر حين استخلف عمر قال له بعض المسلمين: « ما أنت قائل لربك، إذا سألك عن استخلافك عمر علينا، وقد ترى من غلظته؟، قال

---

(١) "الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفوق المذموم"، مرجع سابق، ص٢٢٩، ٢٣٣. و "مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي"، ص٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣، مرجع سابق.

(٢) قد لمست هذا من البعض، وحاورت بعضهم ورددت عليه.

(٣) "مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي"، مرجع سابق، ص٢٠١.

(٤) "أدب الاختلاف في الإسلام"، ص١٣، مرجع سابق.

(٥) د/ طه جابر العلواني، "أدب الاختلاف في المسائل"، ص٦٢، ٦٣. و "الإحكام في أصول الأحكام"، جـ٦، ص٧٦.

أبو بكر: أقول لله: اللهم إني استخلفت عليهم خير أهلك »[1]، وحين قال أحدهم لعمر . ﷺ .: أنت خير من أبي بكر ،أجهش بالبكاء ،وقال: والله، لليلة من أبي بكر خير من عمر وآل عمر[2].

ومن المعالم الوضيئة في أدب الخلاف في عصر النبوة ما يلي:

أ) كان الصحابة . رضوان الله عليهم . يحاولون ألا يختلفوا ما أمكن، فلم يكونوا يكثرون من المسائل والتفريعات، بل يعالجون ما يقع من النوازل، في ظلال هدي الرسول . ﷺ .، ومعالجة الأمر الواقع . عادة . لا تتيح فرصة كبيرة للجدل، فضلا عن التنازع والشقاق.

ب) إذا وقع الاختلاف . رغم محاولات تحاشيه . سارعوا في رد المختلف فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله، وسرعان ما يرتفع الخلاف.

ج) سرعة خضوعهم والتزامهم بحكم الله ورسوله، وتسليمهم التام الكامل به.

د) تصويب رسول الله . ﷺ . للمختلفين في كثير من الأمور التي تحتمل التأويل، ولدى كل منهم شعور بأن ما ذهب إليه أخوه يحتمل الصواب كالذي يراه لنفسه، وهذا الشعور كفيل بالحفاظ على احترام كل من المختلفين لأخيه، والبعد عن التعصب للرأي.

هـ) الالتزام بالتقوى وتجنب الهوى، وذلك من شأنه أن يجعل الحقيقة وحدها هدف المختلفين، حيث لا يهم أيّاً منهما أن تظهر الحقيقة على لسانه، أو على لسان أخيه [3].

و) التزامهم بآداب الإسلام، من انتقاء أطايب الكلام، وتجنب الألفاظ الجارحة، بين المختلفين، مع حسن استماع كل منهما للآخر.

ز) تنزههم عن المماراة والجدل المذموم ما أمكن، وبذلهم أقصى أنواع الجهد في موضوع البحث، مما يعطي لرأي كل من المختلفين صفة الجد، والاحترام من الطرف الآخر، ويدفع المخالف لقبوله، أو محاولة تقديم الرأي الأفضل منه. تلك هي أبرز معالم أدب الاختلاف، في عصر الرسالة[4].

وصدق القاسم بن محمد حين قال: « لقد نفع الله باختلاف بأصحاب النبي ﷺ في أعمالهم، لا يعمل العامل بعمل رجل منهم إلا رأى أنه في سعة، ورأى أنه خير منه قد عمله »[5].

إن الاختلاف والبغي وتفريق الدين من علل أهل الكتاب التي كانت سببا في هلاكهم، ونسخ أديانهم، وبقاء قصصهم وسائل إيضاح للدرس والعبرة، لمن ورثوا الكتاب والنبوة.

---

(١) ابن سعد "الطبقات الكبرى"، جـ٣، ص١٩٩، مرجع سابق.

(٢) حياة الصحابة، جـ١، ص٦٤٦، مرجع سابق.

(٣) د/ طه جابر العلواني، "أدب الاختلاف في المسائل"، ص ٥٠، ٥١، مرجع سابق.

(٤) "أدب الاختلاف في الإسلام"، مرجع سابق، ص٥١.

(٥) ابن عبد البر، "جامع بيان العلم وفضله"، جـ٢، ص٧٨، ٧٩.

إن أهل الكتاب لم يؤتوا من قلة علم وضآلة معرفة، وإنما كان هلاكهم، لتوظيفهم ما عندهم من علوم ومعارف للبغي بينهم، قال تعالى: ﴿﴿ [آل عمران: ١٩][١].

إن من أسوأ صور الاختلاف هو الذي تغيب عنه أبجديات الخلق الإسلامي، فتضطرب الموازين، ينقلب عنده الظني إلى قطعي، والمتشابه إلى محكم، وخفي الدلالة إلى واضح الدلالة، والعام إلى خاص، وتستهوي النفوس العليلة مواطن الخلاف، فتسقط في هاوية تكفير المسلمين، وتفسيقهم....، ومعظم اختلافاتنا اليوم ترجع إلى عوج في الفهم، بسبب الكبر والعجب بالرأي، والطواف حول الذات، والافتتان بها، واعتقاد أن الصواب والزعامة، وبناء الكيان، إنما يكون باتهام الآخرين بالحق وبالباطل، الأمر الذي قد يتطور، حتى يصل إلى الفجور في الخصومة !! [٢].

إن مشكلة الأمة المسلمة ليست في ترجيح أحد الرأيين، أو الآراء في القضايا المختلف فيها، بناء على اجتهاد أو تقليد، والأمر يدور فيها بين الأجر لمن أخطأ والأجر لمن أصاب.

إن المشكلة حقا هي وهن وضعف العقيدة والإيمان، وتعطيل الشريعة، ومنع الزكوات، وإضاعة الصلوات، واتباع الشهوات، وانتشار الرشوة، وخراب الذمم، وسوء الإدارة، وموالاة أعداء الله ورسوله والمؤمنين.

مشكلة أمتنا تتمثل في قتل حرية الشعوب، شيوع الاستبداد، نسيان الواجبات، وإهمال سنن الله في الكون والمجتمع، وإعلاء القوة على الحق والمصلحة على الواجب [٣].

إن الأمة المسلمة اليوم . وهي تتآكل وتتفرق، وتتبعثر، بأشد الحاجة إلى ما يوحدها، ويؤكد على العوامل الجامعة، والقواسم المشتركة في حياتها، متجنبة إثارة الخلاف والفرقة، مع السعي إلى تحويل اختلاف الآراء إلى مجال إيجابي، يغني الرؤية، ويخصب الرأي والعقل، وينوع أوعية الشورى، بعيدا عن منزلقات التكفير والاتهام، والتنقيب عن النوايا !! [٤].

ومن الضروري تجاوز التركيز على الجزئيات والفروع وعوامل التمزيق، مع العناية بالتركيز على الجهاد الفكري الشامل، في مجال غرس العقيدة الصحيحة، مع ربطها بالشريعة وبالسلوك الأخلاقي في نسيج واحد، ومن المهم العمل على بناء الإنسان المسلم، والذات المسلمة وفق إطار الكرامة والحرية والمسؤولية التي كفلها الإسلام، ووفق مفاهيم إسلامية تحقق الفعالية والإيجابية، وتقدم الواجبات على الحقوق، وتمزج بين العبادات والمعاملات [٥].

---

(١) أعمر عبيد حسنة، في تقديمه لكتاب" أدب الاختلاف في الإسلام"، للدكتور/ طه العلواني، كتاب الأمة، ص٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٢.

(٣) "الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم"، ص١٤٧، ١٤٨.

(٤) "إصلاح الفكر الإسلامي"، مرجع سابق، ص٥٨، ٥٩.

(٥) د/ عبد الحليم عويس، "النهضة الإسلامية بين مسؤولية القيادة وواجبات الأمة"، ط١، دار الوفاء، ٢٠٠٢م، ص٢٠.

❁ ❁ ❁

الخاتمـــــة

بعد هذه الإطلالة على قضايا يحتاجها الداعية، أرى العناية بعدة نقاط:

١ . أهمية تحصيل الوعي والإدراك والفهم لمجريات الأمور محلياً وعالمياً، والقراءة الصحيحة للأحداث والأخبار، مع وزن ذلك كله، وتقييمه بالمرجعية الإسلامية، والرجوع لأهل الدراية في السياسة والإدارة، والواقع .

٢ . العناية بإعادة بناء الشخصية المسلمة: بناءً روحياً، يحيى الإيمان القوي، والإخلاص النقي، وبناء عبادياً، فيذوق الناس لذة الخشوع والخضوع والحب لربهم، مع الفكر الصحيح الناضج الناهض، والخلق الراقي الفاضل، والقيم العالية، من إتقان، وانضباط وإيجابية وإيثار، وذوق .

٣ . الاهتمام بعرض الإسلام وقضاياه عرضاً واضحاً جلياً، مقنعاً مؤثراً أخاذاً، وإبراز محاسن شريعة الله، وأنها . الوحيدة . التي تسعد الإنسان وتحميه وتكرمه .

٤ . العناية بالإعلام، ووسائل الاتصال الحديثة بالجماهير، من قنوات فضائية ومواقع انترنت، وتواصل اجتماعي .. إلخ، لبيان المواقف الإسلامية، والهدايات الربانية في شريعة الله، وللرد على كل ما يثيره المرجفون، المفسدون .

٥ . انتقل الخطاب الإسلامي من الوعظ فقط إلى النواحي العملية والتطبيقية، والانتقال إلى التوعية الواقعية، التي تهتم بتناول مشكلات الناس الحياتية ومناقشتها، والبحث والمشاركة في إيجاد الحلول لها .

أهم المصـــادر والمراجـــع

(١) «الآداب الشرعية، والمنح المرعية»، ابن مفلح.
(٢) "آفاق الجمال"، أ/محمد أحمد الراشد، ط١، دار المحراب للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، كندا.
(٣) "الاجتهاد المقاصدي، حجيته، ضوابطه، مجالاته"، د/ نور الدين الخادمي، د.ن.
(٤) "الأحكام في أصول الأحكام"، الآمدي، د.ن.
(٥) "إحياء علوم الدين"، الإمام أبو حامد الغزالي، دار االمعرفة – بيروت –د.ت.
(٦) "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم"، تفسير أبي السعود، ط ٢، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
(٧) "الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية"، أ/ فتحي يكن، ط١٣، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م.
(٨) "أسس الفساد"، أحمد عبد الرحمن الصويان، دراسة بمجلة البيان، عدد ٢٦٩، محرم ١٤٣١هـ، يناير ٢٠١٠م.
(٩) "الإسلام الجزئي، مشروع القرن الجديد"، أ/ رفيق حبيب، دراسة بموقع إسلام أون لاين، برابط "مدارك" بالموقع.
(١٠)"إشراقات قرآنية في طريق الدعاة"، مجلة حراء، عدد ٢٠ .
(١١)"إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات"، د/ طه جابر العلواني، ورقة عمل، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة إسلامية المعرفة، عدد ٩، ط١، ١٩٩١م.
(١٢)"الإعلام الدعوي، إطلالة أولية وأفكار للتطوير"، السيد الشامي، مجلة الرسالة، العدد ٣٦، رجب ١٤٣١هـ، يونيو ٢٠١٠م .
(١٣) "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، ابن القيم.
(١٤) «أيها الدعاة»، افتتاحية مجلة البيان، عدد ٢٦٩، محرم ١٤٣١هـ/يناير ٢٠١٠م.
(١٥) "بصائر دعوية"، د/ محمد أبو الفتح البيانوني.
(١٦) "تأملات في العمل الإسلامي"، محمد عبد الله درويش.
(١٧) "التجديدات في المقاصد"، د/ محمد الشحات الجندي، مجلة الأزهر، عدد صفر ١٤٣٢هـ، يناير ٢٠١١م، السنة ٨٤ .
(١٨) "تجديد الخطاب الديني"، د/ سالم محمود عبد الجليل، العدد ٩٠، من سلسلة "دراسات إسلامية" الصادرة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، فبراير ٢٠٠٣م.
(١٩) "تجديد الفكر الإسلامي، على مشارف قرن جديد، قراءة في تجربة الشيخ الغزالي"، محمد يونس، ط١، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩م .
(٢٠) "تذكرة الدعاة"، أ/ البهي الخولي، ط ٧، ١٩٩٨م، مكتبة الفلاح – الكويت .
(٢١) "تربية ملكة الاجتهاد من خلال بداية المجتهد، لابن رشد"، محمد بولوز، المكتبة الشاملة.
(٢٢) "التعريفات"، الشريف الجرجاني، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي.
(٢٣) "التمهيد في تخريج الفروع على الأصول"، الإمام الأسنوي جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن، تحقيق محمد حسن منيتو، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٤م .

(٢٤) "التوحيد والوساطة في التربية الدعوية"، للأستاذ/ فريد الأنصاري، كتاب الأمة، عدد ٤٨، رجب ١٤١٦هـ، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بقطر .
(٢٥) "٣٠ وقفة في فن الدعوة"، د/ عائض القرني، دار الوطن للنشر والتوزيع ، ط/٢١، ٢٠٠٢م .
(٢٦) "الثوابت والمتغيرات"، د/صلاح الصاوي .
(٢٧) "الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر"، د/ صلاح الصاوي، كتاب المنتدى، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي .
(٢٨) "الجامع لأحكام القرآن"، الإمام القرطبي.
(٢٩) "جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج"، الشيخ محمد الغزالي، ط٢، دار القلم – دمشق، ١٩٩٩م .
(٣٠) « جهاد النفس مفتاح التعيير »، د/ نيفين عبد الخالق، مجلة الرسالة، عدد ٣٦، رجب ١٤٣١هـ .
(٣١) "حجة الله البالغة" ولي الله الدهلوي، اعتني به محمد طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت، جـ١، ط٢، ٢٠٠٤م .
(٣٢) "رؤى تخطيطية"، ط ١، ٢٠٠٧م، أ/محمد أحمد الراشد، دار الأمة للنشر والتوزيع.
(٣٣) "ركائز التدين"، افتتاحية مجلة البيان، عدد ٢٦٨، ذو الحجة ١٤٣٠هـ/ ديسمبر ٢٠٠٩م.
(٣٤) "زينب الغزالي، امرأة الدعوة والموقف"، بدر محمد بدر، مجلة الرسالة، عدد رمضان ١٤٣٠هـ/ سبتمبر ٢٠٠٩م .
(٣٥) "السنة مصدرا للمعرفة والحضارة"، د/ يوسف القرضاوي، ط دار الشروق، ط١، ١٩٩٧م.
(٣٦) "السنن الإلهية، في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية"، د/ عبد الكريم زيدان، ط٣، ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة.
(٣٧) "السنة النبوية، بين أهل الفقه وأهل الحديث"، الشيخ محمد الغزالي.
(٣٨)"سورة الأحقاف، ومنهج الدعوة إلى الله"، د/ عادل فهمي، مجلة الرسالة، عدد ٢٣، ربيع الأول ١٤٢٨هـ/ إبريل ٢٠٠٧م .
(٣٩)"سير أعلام النبلاء"، الإمام الذهبي.
(٤٠) "الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم"، د/يوسف القرضاوي.
(٤١) "الصحوة الإسلامية بين الآمال والمحاذير"، د/يوسف القرضاوي، ط دار الوفاء، ط٢، ١٩٩٤م .
(٤٢) "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف"، د/يوسف القرضاوي.
(٤٣) "صراطنا المستقيم"، للأستاذ/محمد أحمد الراشد .
(٤٤) "عبير الوعي"، الأستاذ/ محمد أحمد الراشد.
(٤٥) "فتاوى معاصرة"، د/ القرضاوي، دار القلم، ط٣، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، الكويت.
(٤٦) "الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل"، الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا.

(٤٧) "فقه الأولويات، دراسة في الضوابط"، محمد الوكيلي، ط١، ١٩٩٧م، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة الرسائل الجامعية، رقم ٢٢ .
(٤٨) "في ظلال القرآن"، أ/سيد قطب، دار الشروق.
(٤٩) "في فقه الأولويات"، دراسة جديدة في القرآن والسنة، د/ يوسف القرضاوي ، ط٤، ٢٠٠٠م، مكتبة وهبة.
(٥٠) "قصة المعركة، معركة النص"، فهد صالح العجلان، دراسة بمجلة البيان، عدد٢٦٩.
(٥١) "قواعد الأحكام مصالح الأنام"، العز بن عبد السلام، ط٢، ١٩٨٠م، دار الجيل – بيروت.
(٥٢) "مجموع الفتاوى"، ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، إدارة الرسالة العامة لشئون الحرمين .
(٥٣) "مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي"، د/ صلاح الصاوي، ط٢، ١٩٩٤م، الآفاق الدولية للإعلام – القاهرة.
(٥٤) "المستطرف في كل فن مستظرف"، بهاء الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، ط دار الفكر العربي، بيروت .
(٥٥) "معالم في أصول الدعوة"، د/ محمد يسري، كتاب مجلة البيان، ط١، ٢٠٠٣م.
(٥٦) "مفهوم التجديد والاجتهاد عند العلمانيين"، عبد العزيز كحيل، دراسة بموقع "الشهاب للإعلام" بالانترنت .
(٥٧) "مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي"، د/ عبد الكريم بكار.
(٥٨) "من صفات الداعية مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين"، د/ فضل إلهي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض، ،ط/١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .
(٥٩) "من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق"، عبد الله الزبير عبد الرحمن، كتاب مجلة الأمة، عدد: ٥٦، ذو القعدة ١٤١٧هـ،ط/ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف بقطر.
(٦٠) «منهج التغيير ووسائله»، د/ عبد الخالق الشريف، مجلة الرسالة، عدد ٣٦، رجب ١٤٣١هـ .
(٦١) "منهج الدعوة، في ضوء الواقع المعاصر"، د/ عدنان عرعور.
(٦٢) "نطرية المقاصد عند الإمام الشاطبي"، د/ أحمد الريسوني.
(٦٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .
(٦٤) "النهضة الإسلامية بين مسؤولية القيادة، وواجبات الأمة"، د/ عبد الحليم عويس.

فهــرس الموضــوعــات

الموضـــــــــــــــــــــوع	رقم الصفحـة
مقدمـة	
الفصل الاول إطلالة على أصول تتعلق بفقه الداعي إلى الله	
المبحث الأول: أهمية إيجابية الداعي وتفاعله مع المجتمع	
المبحث الثاني: الرفق والين، ونبذ العنف والتقريع	
المبحث الثالث: التيسير والتبشير	
المبحث الرابع: فهم الشريعة فهماً صحيحاً	
المبحث الخامس: الجمع بين الأصالة والمعاصرة	
المبحث السادس: أهمية فقه الواقع وترتيب الأولويات	
الفصل الثاني إطلالة على أصول تتعلق بفقه الدعوة إلى الله	
المبحث الأول: أهمية وضوح الدعوة وتكوين الرأي العام	
المبحث الثاني: التدرج في الدعوة والإصلاح	
المبحث الثالث: تنويع مناهج وأساليب الدعوة، والعناية بالحوار	
المبحث الرابع: الإلمام بالسنن الاجتماعية، والإفادة منها في الدعوة والتربية	
المبحث الخامس: الوسطية وترك النزاع في الفروع	
المبحث السادس: العناية بإقامة فروض الكفاية في الأمة	
المبحث السابع: التركيز على بيان مقاصد الشريعة، وإبراز محاسن الإسلام	
المبحث الثامن: حسن عرض حقائق الإسلام ومحاسنه	
المبحث التاسع: فقه مراتب الأحكام وأدب الاختلاف	

تم بحمد الله